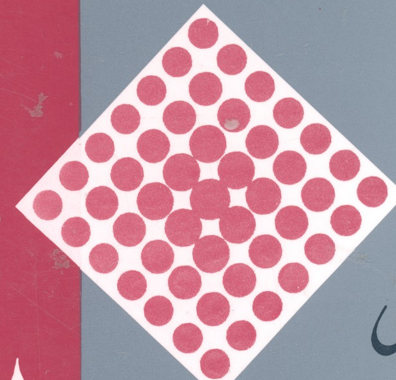
موسوعة الشباب السياسية
١٨



الصراع الدولي



جمال رشدي

الصراع الدولي

موسوعة الشباب
السياسية
سلسلة خاصة يصدرها
مركز الدراسات
السياسية والاستراتيجية
بالأهرام

رئيس مجلس الادارة
ورئيس التحرير
ابراهيم نافع

مدير المركز
د . عبد المنعم سعيد

المشرف العام
د . وحيد عبد المجيد

المدير الفنى
السيد عزمى

خطوط
حامد العويضى

سكرتير التحرير
حسنى ابراهيم



الصراع الدولي

جمال رشدي

القاهرة ٢٠٠٢م

شارع الجلاء – ت : ٥٧٨٦٠٣٧

المحتويات

تقديم		٧
مقدمة		٩
الفصل الأول :	نبذة تاريخية : من الذى يتصارع ؟	١١
الفصل الثانى :	مفاهيم أساسية : كيف تتصارع الدول ؟	٣٧
الفصل الثالث :	لماذا تتصارع الدول ؟	٦٩
الفصل الرابع :	الحروب : أسبابها وانواعها	
الخاتمة :		١٠٩

تقديم

الصراع قديم قدم الإنسان على الأرض، ليس فقط لأن قصة قابيل وهابيل تؤكد ذلك، ولكن أيضاً لأنه لصيق بحياة البشر. ولهذا لا يمكن تخيل انتهاء الصراعات الدولية فى أى وقت، ولكن يمكن تصور إمكان الوصول إلى أدوات لإدارتها سلمياً. وهذا هو الهدف الذى سعى إليه أنصار السلام فى العالم، أى وضع حد للحروب كوسيلة لإدارة الصراع وليس إنهاء الصراع نفسه.

فما دام هناك بشر لابد أن يكون ثمة صراع يجد أساسه فى الاختلاف بينهم. كما أنه ليس كل صراع سيئا أو مؤديا إلى شرور بالضرورة. ففى الصراع بين الأفراد ، مثلا، ما يدفع إلى تنافس إيجابى تترتب عليه منافع وفوائد جمة. وقل مثل ذلك عن الصراع بين الجماعات، وصولا إلى الصراع الدولى.

ولم يكن اهتداء البشر إلى الألعاب الرياضية إلا تعبيرا عن طموح لجعل الصراعات منتجة للمنافع بدلا من أن تكون مخربة ومدمرة. ففى هذه الألعاب صراع بين شخصين أو فريقين من أجل إلحاق الهزيمة بالشخص أو الفريق الآخر. ولكن يدار هذا الصراع بأسلوب يعظم إمكانات تحويله إلى تنافس إيجابى ويقلص فرص تطوره فى اتجاه حرب مدمرة.

ولكن النجاح الذى حققه الإنسان فى الألعاب الرياضية لم يتحقق مثله خارج الملاعب، وخصوصا فى ميدان الصراع بين

الدول أو الصراع الدولي الذى تخصص له هذا العدد من "موسوعة الشباب" .

ومع ذلك لا يمكن القول بأن محاولات تهذيب هذا الصراع باءت بالفشل المبين. فهناك نجاح تحقق ولكن بمقدار لا يرقى إلى مستوى التقدم الذى بلغته البشرية. فهناك فجوة هائلة بين إدارة التنافس الاقتصادى – مثلاً - بين دولتين وإدارة الصراع السياسى بينهما.

ومما يزيد المشكلة تعقيداً أن الجهود التى تستهدف تهذيب الصراع الدولى تواجه منعطفات تعيدها إلى الوراء من وقت إلى آخر، كما يحدث الآن فى ظل الحرب الأمريكية ضد الإرهاب. فهذه حرب تريدها الولايات المتحدة منفلتة من قيود الشرعية الدولية. ومع ذلك فهى تواجه مقاومة حتى من بعض أقرب حلفائها. وعموماً ليست هذه هى المرة الأولى التى تواجه فيها الدعوة إلى السلام العالمى أزمة كما يتضح من تاريخ الصراع الدولى الذى يقدم الباحث المتميز جمال رشدى عرضا بديعا له.

د. وحيد عبد المجيد

مقدمة :

الكثير منا يطالع نشرة الأخبار فيلفت انتباهه أن غالبية الأخبار العالمية تتعلق - بصورة او بأخرى - بنزاعات وصراعات بين الدول(او داخل الدول (مثل : "الهند وباكستان تعلنان أن قضية كشمير قد تقود إلى الحرب ".. " الصراع العرقى يتجدد فى منطقة البلقان بين الألبان والصرب ".. " الاشتباكات تندلع مجددا بين الاسرائيليين والفلسطينيين "..." الدعم على الصادرات الزراعية يشعل حربا تجارية بين الاتحاد الأوروبى والولايات المتحدة " .

ولاشك إن الكثيرين منا يتمنون أن يأتى اليوم الذى يشاهدون فيه نشرة اخبارية خالية من مثل تلك الأخبار البائسة والدموية فى كثير من الأحيان، وأن تتصدر نشرات الاخبار الانباء عن الاكتشافات العلمية، والمجهودات البشرية المشتركة للتغلب على المشكلات التى تواجه العالم كله وتهدده مثل : البيئة(ارتفاع درجة حرارة الكوكب، وثقب الأوزون والتلوث)، وايجاد علاج

للأمراض المستعصية(الايدز)، والتقارب بين البشر من الحضارات والثقافات المختلفة (الدورات الأوليمبية، والمهرجانات الفنية العالمية).

وبالرغم من هذه الأمنيات التى يشترك فيها الكثير من البشر على مستوى العالم كله، فإن نشرة الأخبار لا زالت تحمل كل يوم مزيدا من الأنباء السيئة عن القتل والدمار والحروب . مما يجعل المرء يتساءل : ألن يأتى يوم يصبح فيه البشر أكثر تعقلا ليتوقفوا عن الصراع مع بعضهم البعض ؟ ... لماذا لا يفهم قادة الدول أن السلام انفع واكثر فائدة للبشر ؟

وعندما نسترسل فى التفكير بمثل هذه الطريقة، فاننا نصل إلى نتيجة مؤداها ان البشر كانوا اغبياء ليدخلوا فى مثل هذه الصراعات .فهل هذا حقيقى ؟ هل صحيح إن الصراع الدولى هو نتيجة للغباء ليس الا ؟!

الواقع يخبرنا أن الدول لم تتوقف عن الصراع منذ أن وجدت، مما يعنى أن هناك اسبابا ـ بخلاف الغباء(!)ـ تدفع الدول للصراع مع بعضها البعض .

البعض يقول إن هذه الأسباب تتعلق بطبيعة البشر انفسهم، وفى هذه الحالة فإن الصراع والحرب يصبحان ظاهرتين حتميتين .

أما الغالبية فتتفق على أن طبيعة السياسة الدولية نفسها تخلق الصراع بين الدول نتيجة التنافس والتناقض فى المصالح .

ولكن هذا لا يمنع أن الكثيرين - خصوصا بعد انتهاء الحرب الباردة - صارت تتعالى أصواتهم من اجل بناء عالم جديد يقوم على مبادئ جديدة تسعى الدول من خلالها إلى حل خلافاتها بطرق سلمية بعيدا عن الحرب والصراع .

لقد بدأ القرن السابق، تماما مثل هذا القرن، بآمال كبرى عن سيادة السلام والأمن فى العالم . ولكن القرن العشرين انقلب ليصبح قرن العنف الملاييني ، حيث بلغ اجمالى قتلى القرن العشرين حوالى سبعة وثمانين مليونا - بدون ذكر الجرحى والمعوقين - راحوا ضحية الحروب بين الدول، والنزاعات داخل الدول والقمع الذى مارسته بعض الدول ضد مواطنيها .وشهد القرن العشرون أعنف حربين فى تاريخ العالم كله : الحرب العالمية الأولى) التى راح ضحيتها١٥ مليونا من مدنيين وعسكريين (والحرب العالمية الثانية) التى راح ضحيتها ١٩ مليونا) ، وإضافة إلى هذا كله فإن الإنسان فى القرن العشرين استطاع أن يسخر التكنولوجيا ليكون قادرا لأول مرة فى التاريخ من القضاء على الحضارة البشرية كلها باستخدام القنبلة النووية، مما دعا رجلا من اذكى من عاش فى هذا القرن هو ألبرت اينشتين - وهو ممن ساهموا فى نفس الوقت فى اختراع هذا السلاح - إلى إن يقول " لا اعرف بأى سلاح ستدور الحرب العالمية الثالثة، ولكنى اعرف حتما إن الحرب العالمية الرابعة سوف تدور باستخدام العصى والحجارة ! " .

كل هذا يجعل الانسان يشعر بالخوف على مستقبل البشرية، ويجعل المرء يتساءل مجددا: أما آن للانسان إن يضيف إلى تقدمه فى المجال العملى والمادى والحضارى تقدما على مستوى

الأخلاق يجنب العالم هذا المصير الكئيب الذى شهده فى القرن العشرين ؟

ومرة ثانية، إذا كنت تشعر بان الصراع الدولى هو أمر ناتج عن الغباء البشرى المحض، فأنت لست وحدك فى هذا الشعور. فالكثيرون اليوم يشعرون بأن الحرب والصراع صارا أمرين غير مقبولين، ولم يعد لهما مكان فى القرن الحادى والعشرين، فالاتصالات تربط العالم وتجعل البشر اقل عداء لإخواتهم الذين ينتمون إلى دول أخرى، والاقتصاد يجعل الدول اكثر اعتمادا على بعضها البعض ، بمعنى أنها صارت تفضل التعاون من اجل تحقيق منفعة مشتركة على الحرب والصراع الذى لا يقود سوى إلى القضاء على إمكانيات الدول ورخائها الاقتصادي، خصوصا بعد أن صارت الحرب عملية باهظة التكلفة .

ولكن من ناحية أخرى الواقع لا يدعو إلى التفاؤل : رغم كل شيء ما زال الصراع قائما بين الدول وداخل الدول، وما زال يحتل الصدارة فى نشرات الأخبار . فما العمل؟.

ربما إذا توافرت لدينا معرفة اكثر دقة بطبيعة الصراع الدولي، والأسباب التى تقود الدول إلى الصراع والحرب، نكون اكثر قدرة على تجنب الصراعات فى المستقبل .

هذا الكتيب يحاول أن يقدم معرفة بمفهوم الصراع الدولي، فيعرض الفصل الأول نبذة مختصة عن التطور التاريخى للصراع بين الدول .بينما يناقش الفصل الثانى طبيعة الصراع الدولى والمفاهيم الأساسية المتعلقة به، فى حين يناقش الفصل الثالث الأسباب الأساسية وراء ظاهرة الصراع الدولي، ويحاول

الإجابة على سؤال محورى : من اجل ماذا تتصارع الدول مع بعضها البعض ؟ أما الفصل الرابع فيعرض لأهم وأقسى صور الصراع الدولى على الإطلاق وهى الحرب، وهو يحاول الإجابة على سؤال أساسى : لماذا تنشب الحروب بين الدول ؟. إضافة إلى التعرف على أنواع الحروب، فى حين نحاول فى الخاتمة التعرف على مستقبل الصراع الدولى فى العالم المعاصر، ونسعى إلى الإجابة عن سؤال أساسى لا شك إنه يشغلنا جميعا هو: هل صحيح أن الصراع والحرب ظاهرتان حتميتان ام أن فى الإمكان التخلص منهما ؟. وهل يأتى حقا هذا اليوم الذى نشاهد فيه نشرات أخبار خالية من القتل والدماء ؟.

الفصل الأول

نبــذة تاريخيــة: مــن الذى يتصارع ؟

الدرس الأول فى فهم الصراع الدولى هو درس التاريخ .لماذا؟ لأن التاريخ يتيح لنا ان نعرف الخلفية التى يدور فيها الصراع الدولى فى عالمنا المعاصر .

وكل الظواهر الخاصة بالصراع بين الدول - وداخل الدول - التى نسمع عنها فى ايامنا هذه هى نتيجة مباشرة لتاريخ طويل من الصراعات بين الدول بالمفهوم المعاصر للدولة بدأ تقريبا فى عام ١٥٠٠ .وقاد فى النهاية إلى تشكيل عالمنا كما نراه اليوم .

أولا : ظهور الدولة القومية :

وبالتأكيد قبل عام ١٥٠٠ كانت هناك صراعات، ولكنها لم تكن تدور بين دول، وانما بين إمبراطوريات مثل الإمبراطورية الرومانية (التى استمرت مسيطرة على المسرح العالمى حتى عام ٤٠٠ ميلادية تقريبا) والإمبراطورية الإسلامية(من ٦٠٠ - ١٢٠٠ ميلادية تقريبا) .وقبل هذه الإمبراطوريات كانت هناك الحضارات القديمة كالحضارة الفرعونية، وحضارة بلاد بين النهرين، والحضارة الصينية، والحضارة اليونانية .وكانت هذه الحضارات جميعا تعيش بمعزل عن بعضها البعض، فكانت تظن أنها تسيطر على العالم كله .

أما الصراع بين الدول ـ كما نعرفه اليوم ـ فقد ظهر الى حيز الوجود فى قارة أوروبا فى عام ١٥٠٠ مع بدء ظهور فكرة " الدولة " المعاصرة صاحبة السيادة .ويشير الكثيزون الى صلح " ويستفاليا" عام ١٦٤٨ ـ الذى انهى حرب الثلاثين عاما آخر الحروب الدينية فى أوروبا ـ باعتباره الميلاد الحقيقى لنظام الدول المعاصر ، لأنه قرر مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول (السيادة).

وفى حرب الثلاثين عاما كانت فرنسا تواجه سيطرة إمبراطورية " الهابسبرج " التى كانت تشمل كلا من النمسا وإسبانيا وهولندا، وتدين بالديانة الكاثوليكية وتحمل اسم "الإمبراطورية الرومانية المقدسة " وبالرغم من ان فرنسا كانت تدين هى الأخرى بالديانة الكاثوليكية ألا أنها دخلت الحرب ضد الهابسبرج لأنها كانت تخشى من سيطرتها على القارة الأوروبية بكاملها .وفى هذا الوقت ادخل المستشار الفرنسى " روتشيليو " مبدأ جديدا يقوم على الفصل بين الانتماءات الدينية والمصالح القومية، فهو اشار الى ان الدول لها " منطق خاص " هو السعى الى تحقيق مصلحتها الوطنية بغض النظر عن اى اعتبار آخر. وقاده هذا الى الدخول فى حلف مع بروسيا البروتستانتية، بل والأتراك المسلمين، فى مواجهة الهابسبرج .

ولذلك فإننا نقول ان عام ١٥٠٠ كان عاما فارقا فى تاريخ وتطور النظام الدولي، ففى هذا التاريخ بدأت أوروبا تسيطر على المسرح العالمى) فى حين بدأت الحضارات الأخرى فى الأفول التدريجى بسبب عوامل كثيرة أهمها الانعزال) وتصارعت عدة قوى عظمى فيما بينها ، مدة أربعة قرون تقريبا بعد هذا التاريخ،

على القوة والموارد الاقتصادية في أوروبا ثم في العالم كله بعد حركة الكشوف الجغرافية والسعي الى السيطرة على المستعمرات .

وفي البداية أحرزت إسبانيا والبرتغال سبقا في مجال السيطرة على المستعمرات لأنهما كانتا السابقتين في مجال الكشوف الجغرافية .ثم جاء الدور على هولندا(في القرن السادس عشر) لتحوز قوة كبيرة عن طريق التجارة الخارجية ودخلت إنجلترا معها في صراعات كثيرة بسبب المنافسة التجارية .وبعدها ظهرت فرنسا كقوة مسيطرة في عهد " لويس الرابع عشر" في القرن السابع عشر ، ودارت بينها وبين بريطانيا صراعات للسيطرة على أوروبا بلغت سبعة حروب كبرى بين الأعوام ١٦٨٩ و١٨١٥.

وبسبب العامل الجغرافي، يصعب كثيرا السيطرة على القارة الأوروبية من جانب قوة واحدة .وبالتالى فقد تغير نادى " القوى الكبرى " أكثر من مرة دون أن تستطيع دولة - او قوة - واحدة من الهيمنة على القارة.

وقد كان لهذه الظاهرة (ظاهرة عدم هيمنة قوة واحدة) سبب آخر يكمن في اتباع الدول الأوروبية لما يدعى بسياسة **توازن القوي**، وهي سياسة سوف نناقشها بالتفصيل في الفصل الثاني، ولكن يكفي أن نقول الآن أنها تقوم على اجتماع مجموعة من الدول في مواجهة دولة - او مجموعة أخرى من الدول - تهدد بالسيطرة والهيمنة الكاملة .

وفى عام ١٧٨٩ وقعت الثورة الفرنسية وقد كان لهذا الحدث تأثير كبير على الطريقة التى تدار بها الصراعات الدولية. فقد بشرت الثورة بمبادئ **القومية** (التى تعنى الانتماء لهوية مشتركة تتجسد فى دولة - أمة)، وبمبادئ المساواة وحكم الشعب نفسه بنفسه. وأخذ القائد العسكرى الشهير نابليون بونابرت على عاتقه نشر هذه المبادئ فى قارة أوروبا وأدخل لأول مرة مفهوم الجيوش كبيرة العدد التى تقوم على التجنيد الإجباري. وشكل هذا تهديدا خطيرا للعروش الأوروبية، لذلك وقفت الدول الأوروبية فى مواجهته بزعامة بريطانيا فى سلسلة من الصراعات والحروب يشار اليها فى التاريخ باسم "الحروب النابليونية " دارت خلال الفترة من عام ١٧٩٩ وحتى عام ١٨١٥ وهو العام الذى شهد هزيمة فرنسا فى معركة " واترلو " .

وفى أعقاب هذه المعارك عقد صلح " فيينا" عام (١٨١٥)، الذى استعاد النظام القديم فى أوروبا، حيث اتفقت القوى الكبرى (بريطانيا وفرنسا وروسيا وبروسيا والنمسا) على الوقوف فى وجه الحركات الثورية التى تهددها للمحافظة على عروشها. وقد نجح النظام الذى تمت صياغته ببراعة فى فيينا إلى حفظ سلام نسبى فى القارة الأوروبية لمدة مائة عام .

وفى القرن التاسع عشر أحدثت الثورة الصناعية تغيرات هائلة فى الطريقة التى تدور بها الصراعات الدولية. فقبل هذه الثورة كان السكان والأرض الزراعية هما المصدر الأساسى لقوة الدولة. ولكن تغيرت مصادر القوة كلية بعد التصنيع . وكان اثر هذا التغير حاسما بالنسبة لبقية العالم وليس لأوروبا وحدها.

فقبل هذه الثورة لم تكن الفروق الاقتصادية بين العالم الأوروبى وبقية العالم بالغة الاتساع، فكان عامل النسيج اليدوى فى الهند يحصل على نصف اجر نظيره الأوروبى، وبالنظر إلى الأرقام فإن آسيا كانت تضم جزءا اكبر من الناتج العالمى من أوروبا بسبب الأرقام الكبيرة للفلاحين والصناع فى آسيا .

ولكن المحرك البخارى والنول الآلى غيرا كل شيء، فقد مهدا لزيادة رهيبة فى معدلات الإنتاج . وفيما بين عامى ١٧٥٠ و ١٨٣٠ أدت ميكنة الغزل إلى زيادة إنتاجية النسيج فى بريطانيا ٣٠٠ او ٤٠٠ ضعفا . وارتفع نصيبها لتصبح الدولة الصناعية الأولى فى العالم فى القرن التاسع عشر .

وإذا كان مستوى دخل الفرد فى دول العالم خارج أوروبا لم يكن يختلف كثيرا عن مثيله فى أوروبا فى عام ١٧٥٠، فقد وصل مستوى دخل الفرد فى العالم غير الأوروبى إلى ٢ فى المائة من مستوى دخل الفرد فى بريطانيا عام ١٩٠٠ .

وأعطت التقنية المتقدمة للمحرك البخارى والآلات الصناعية أوروبا ميزات اقتصادية وعسكرية حاسمة . فقد كان تقدم صناعة البنادق والمدفعية يمثلان ثورة فى القوة النارية، وولم تترك أى فرصة للشعوب التى تعتمد على أنواع قديمة من الأسلحة فى إبداء مقاومة ناجحة .وربما يكون أوضح مثال على هذا المعنى هو معركة " أم درمان عام"(١٨٩٨) حيث قامت بنادق جيش "كتشنر " الإنجليزى بإبادة ١١ ألفا من الدراويش السودانيين فى مقابل ٤٨ قتيلا فى صفوفه .

وفى عام ١٨٠٠ كان الأوروبيون يحتلون او يسيطرون على ٣٥ % من وجه الأرض، وفى عام ١٨٧٨ ارتفع الرقم إلى ٦٧%، وفى عام ١٩١٤ إلى ٨٤% .واشتبكت الدول الأوروبية فى صراع محموم للسيطرة على المستعمرات فى أفريقيا وآسيا.

وخلال القرن التاسع عشر استمرت آلية توازن القوى فى العمل بشكل جيد، وتم الحفاظ على السلام من خلال حروب محدودة مثل حرب القرم عام (١٨٥٦) التى خاضتها بريطانيا وفرنسا لكى تمنع روسيا من السيطرة على تركة الإمبراطورية العثمانية (رجل أوروبا المريض).

ولكن حدث تغيران أساسيان كانا مقدمة للأحداث المرعبة التى شهدها القرن العشرون: الحدث الأول هو توحيد ألمانيا عام (١٨٧٠) - التى كانت من قبل عبارة عن ٣٧ أمارة - فى تجسيد لانتصار مبادئ القومية .وقد جلب التوحيد معه قوة هائلة لألمانيا جعلت مطالبها تزداد وأعلن القيصر "فيلهلم الثانى " أن ألمانيا " لديها مهام جليلة تقوم بها خارج الحدود الضيقة لأوروبا القديمة"، وقال "بولو " رئيس الوزراء الألمانى أن "المسألة ليست أننا نريد أو لا نريد ، أن نمارس الاستعمارية، بل يجب إن نستعمر، سواء أردنا أم لم نرد" .وكل هذا جعل الأخرين يزدادون قلقا وشكا فى نوايا ألمانيا.

أما التغير الثانى الهام فهو الزيادة الهائلة فى قوة الولايات المتحدة، منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

لقد تمكنت أمريكا - بعد انتهاء الحرب الأهلية فى ستينات القرن ١٩ - من استغلال الميزات العديدة التى حباها الله بها من

أراض زراعية خصبة ومواد خام هائلة وثورة تقنية عظيمة لتنمية هذه الموارد .وكان غياب القيود الاجتماعية والجغرافية والأخطار الخارجية وتدفق رأس المال الأجنبي والمحلي من عوامل التحول المذهل .وعلى سبيل المثال زاد إنتاج القمح الأمريكي بين عامي ١٨٦٥ و١٨٩٨ بنسبة ٢٥٦%، والذرة بنسبة٢٢٢%، والفحم ٨٠٠% .وفي عام ١٩١٤ كان الدخل القومي الأمريكي يفوق نظيره في أي مكان آخر في العالم، وكانت الولايات المتحدة اكبر منتج للنفط واكبر مستهلك للنحاس، وكان إنتاجها من الحديد الخام يفوق إنتاج ألمانيا وبريطانيا وفرنسا مجتمعة .وكانت تنتج وتملك من السيارات ما يزيد على العالم كله .

هذان التغيران، توحيد ألمانيا واتجاهها إلى التوسع، والنمو الهائل في قوة الولايات المتحدة، كانا لهما آثار كبيرة على توازنات القوى في صراعات القرن العشرين .

ثانيا : الحرب العالمية الأولى :

بحلول عام ١٩١٤ كانت التحالفات في أوروبا قد أصبحت اكثر جمودا من ذي قبل، فقد تقاربت فرنسا(التي كان هدفها الأول هو استعادة الالزاس واللورين التي سلبتها منها ألمانيا في عام ١٨٧١) مع روسيا واتفقتا على مساندة بعضهما البعض إذا تعرضت واحدة منهما لهجوم من جانب ألمانيا. واتجهت بريطانيا، التي أقلقتها الزيادة الهائلة في القوة العسكرية الألمانية وخصوصا في المجال البحري، إلى تصفية خلافاتها مع فرنسا على المستعمرات (الوفاق الودي١٩٠٤)، وظهر حلف ثلاثي إلى حيز الوجود في عام ١٩٠٧ يضم كلا من بريطانيا وفرنسا وروسيا.

وكان الحلف موجها إلى ألمانيا التى لم يعد لديها حليف سوى إمبراطورية النمسا والمجر .

وفى عام ١٩١٤ كان المسرح مهيئا للحرب تماما. ووصف ونستون تشرشل - رئيس الوزراء البريطانى فيما بعد - الموقف وصفا بليغا: " كان هناك إحساس غريب فى الجو، وقد لجأت الشعوب التى لم تكتف بالرخاء المادى إلى الصراع بعنف داخليا وخارجيا . وكانت عواطف القومية، التى زاد منها انحسار النزعة الدينية، تشتعل على السطح في كل ارض تقريبا فى نيران عنيفة. وربما كان من الممكن الظن بأن العالم كان يريد أن يعاني .ومن المؤكد إن الرجال فى كل مكان كانوا على استعداد للمغامرة !".

وما كان أقساها من مغامرة ! فما إن اشتعلت الحرب بعد اغتيال الارشيدوق فرديناند وريث عرش النمسا على يد قومى صربى متطرف فى سراييفو فى ٢٨ يونيو عام ١٩١٤، حتى اشتبكت ألمانيا والنمسا والمجر على جبهتين فى مواجهة روسيا على الجبهة الشرقية وكل من فرنسا وبريطانيا على الجبهة الغربية .

وحتى عام ١٩١٧ دار القتال لمدة ثلاثة أعوام متصلة لم يتمكن أى طرف فيها من إحراز نصر سريع حاسم، كما كان متوقعا من قبل، بالرغم من ملايين الأرواح التى راحت .وتكلس الموقف على الجبهة الغربية على شكل خنادق مواجهة لبعضها البعض بطول الجبهة من القنال الإنجليزى وحتى سويسرا. وصارت هناك حالة من التوازن التى أعاقت أى محاولة للاقتحام.

وفى ربيع عام ١٩١٧ دخلت الولايات المتحدة الحرب، بعد أن كانت تكتفى بالدعم الاقتصادى للحلفاء، كرد فعل على سياسة حرب الغواصات التى انتهجتها ألمانيا ضد سفنها وكان دخول الولايات المتحدة حاسما فى قلب الكفة لمصلحة الحلفاء، وفى تعويض انسحاب روسيا عام ١٩١٨ فى أعقاب الثورة البلشفية عام ١٩١٧.

وانتهت الحرب بهزيمة ألمانيا، ووقعت اتفاقية فرساى فى عام ١٩١٩ التى قضت على ألمانيا بدفع تعويضات باهظة بلغت ٣٣ مليارا لأنها كانت المتسببة فى الهجوم . وعملت المعاهدة على إضعاف ألمانيا (الأمر الذى انتقده الكثيرون فيما بعد واعتبروه سببا فى نشوب الحرب العالمية الثانية) فقد اقتطعت نحو ٢٥ ألف ميل مربع من أرضها وفقدت سبعة ملايين من شعبها . وأجبرتها المعاهدة على تخفيض جيشها إلى ١٠٠ ألف، وحظرت عليها امتلاك قوة جوية.

وقد علق وزير الدفاع الفرنسى الجنرال فوش على هذه المعاهدة قائلا: "إن هذه ليست معاهدة سلام، وإنما هدنة مدتها عشرين عاما" . وصدقت نبوءة الوزير الفرنسي.

ثالثا: الحرب العالمية الثانية:

رغم الجهود التى بذلت من أجل صيانة السلام فى العشرينات مثل إنشاء "عصبة الأمم" التى دعا إليها الرئيس الأمريكى ويلسون فى عام ١٩١٩ لكى تكون مؤسسة تحل الدول من خلالها

خلافاتها بالطرق السلمية، إلا إن هذه الجهود لم تحل دون اندلاع الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ . إذ كانت فترة الثلاثينات هى فترة انتشار الأفكار القومية والشمولية المتطرفة مثل الفاشية التى ظهرت فى أعقاب وصول " موسولينى " إلى السلطة فى إيطاليا عام ١٩٢٢.

وتبنى " هتلر "ـ زعيم الحزب القومى الاشتراكى الألمانى (النازي) ـ صيغة عنصرية من الفاشية تقول بتفوق الجنس الآرى على بقية الأجناس، وتعهد بالقضاء على الظلم الذى تعرضت له ألمانيا فى "فرساي" . وساهم الكساد العظيم فى أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات فى وصول هتلر إلى السلطة فى ألمانيا عبر الانتخابات عام ١٩٣٣.

وبدا هتلر فى بناء قوة جوية، وفرض التجنيد من جديد، وحارب إلى جانب اليمين فى الحرب الأهلية الأسبانية (١٩٣٦ـ١٩٣٩)، مما قربه من موسولينى الذى كان يحارب إلى جانب اليمين هو الآخر.

ووقعت فى الفترة من ١٩٣٦ إلى ١٩٤٠ عدد من المعاهدات بين ألمانيا وإيطاليا (التى كانت تسعى إلى بناء إمبراطورية) واليابان (التى كانت تقودها حكومة عسكرية شمولية تسعى إلى التوسع الإقليمي)، ومهدت هذه المعاهدات لقيام محور (برلين ـ روما ـ طوكيو).

وبدأ هتلر فى القيام ببعض التحركات التوسعية فى أوروبا، فضم النمسا عام ١٩٣٨، وسكتت بريطانيا وفرنسا التى أرعبتها قوة ألمانية المتزايدة.

وفـى سـبتمبر عـام ١٩٣٨ هـدد هتلـر بـالحرب لضـم إقليـم "السوديت"، وهى منطقة حدودية غربية تقـع فـى تشيكوسـلوفاكيا ويقطنها ٣٫٥ مليون ألماني. وسارع رئيس الـوزراء البريطـانى " تشمبرلين " إلى عقد محادثـات مـع هتلـر تمخضـت فـى النهايـة عمـا صـار يعـرف بــ "معـاهدة ميونــخ "، والتــى وافقــت تشيكوسلوفاكيا بمقتضاها على التخلى عن " السوديت " مقـابل ألا يطالب هتلر بالمزيد من أراضيها.

واعتقد " تشمبرلين " انه حقق السلام، ولكـن بعد سـتة اشـهر قام هتلر بالاستيلاء علـى بقيـة الأراضـى التشـيكية . وانزعجـت بريطانيـا مـن هـذا التصـرف ومـن تـهديد هتلـر بالاسـتيلاء علــى بولندا، وبالتالى تعهدت بالدفاع عنها.

وقبل أن يخوض هتلر الحرب قـام بتوقيـع اتفاقيـة عدم اعتـداء مع ستالين زعيم الاتحاد السوفيتي، لكـى لا يضطـر إلـى الحـرب على جبهتين كما حدث فى الحرب الأولي.

وعندمـا قـام هتلـر بمهاجمـة بولنـدا اندلعـت الحــرب العالميــة الثانيـة، فقـامت ألمانيـا بالـهجوم علـى بلجيكـا والنرويج . وقـام الجيـش الألمـانى فـــى ربيـــع ١٩٤٠ بالالتفــاف حــول الدفاعــات الفرنسية التى تمركـزت حـول خـط "مـاجينو " فـى خطـة بارعـة تضمنت الهجوم عبر غابات " الاردين " التى لم يكـن الفرنسـيون يتوقعون الهجوم عن طريقها.

وفى يونيو عام ١٩٤٠ سعى الجـنرال الفرنسـى فيليـب بيتـان، وهو من أبطال الحرب العالمية الأولى وقد صار رئيسا للوزراء، إلى عقد هدنة مع هتلر، ووقعت الهدنة فى ٢٥ يونيو عـام ١٩٤٠

بناء على شروط أعطت ألمانيا السيطرة على شمال شرق فرنسا وعلى الساحل الأطلنطي .وكون بيتان مجلسا للوزراء كان مركزه " فيشى " فى الجنوب الشرقى غير المحتل . وقد صار يشار إلى حكومة فيشى باعتبارها حكومة عميلة أثرت الاستسلام والخنوع على مقاومة الغازي.

واتسعت رقعة الحرب العالمية الثانية، فشملت العالم كله تقريبا .فكانت هناك المعارك فى شمال أفريقيا وأهمها معركة "العلمين" التى شهدت هزيمة قوات المحور على يد الحلفاء.

وقام "هتلر" بارتكاب خطأ قاتل بالهجوم على الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٤١، بعد إن فقد الأمل فى القضاء على بريطانيا وخسر المعركة الجوية معها . ولم يستطع هتلر هزيمة السوفييت بسهولة كما توقع، وإنما كان هذا الهجوم بداية لنهاية السيطرة الألمانية.

وأعلنت اليابان، التى كانت تسعى إلى التوسع فى آسيا، الحرب على الولايات المتحدة فى المحيط الهادى بهجوم مفاجئ على الأسطول الأمريكى فى "بيرل هاربور " فى ديسمبر عام ١٩٤١ . وهكذا دخلت الولايات المتحدة الحرب إلى جانب معسكر الحلفاء الذين بدأت الكفة تميل لصالحهم بالتدريج بسبب تفوقهم الحاسم في جانب الموارد الذى أتاح لهم الاستمرار فى الحرب لفترة طويلة.

وانتهت الحرب فى عام ١٩٤٥ بهزيمة ألمانيا وإيطاليا، واستسلام اليابان (بعد إلقاء القنبلتين النوويتين على هيروشيما وناجازكي) . وعقدت معاهدات الصلح فى " يالتا "، حيث أصر

الحلفاء على تقسيم ألمانيا إلى قسمين شرقي وغربي للحيلولة دون قيامها باعتداءات جديدة. وأنشئت الأمم المتحدة في عام ١٩٤٥ بمقتضى ميثاق " سان فرانسيسكو " لتحل محل عصبة الأمم كمنظمة لتكريس السلام العالمي. وأصبحت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية وهي: الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا والصين دولا دائمة العضوية في مجلس الأمن داخل الأمم المتحدة، وأعطيت لها وحدها ميزة حق الاعتراض "الفيتو " على قرارات المجلس.

رابعا : الحرب الباردة :

كانت نهاية الحرب العالمية الثانية مقدمة لظهور عالم ثنائي الأقطاب تسيطر عليه قوتان أساسيتان متنافستان هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. وانخرطت هاتان القوتان في صراع حاد على السيطرة على العالم بدأت مقدماته في أعقاب الحرب العالمية الثانية. وعرف هذا الصراع بالحرب الباردة لأنه لم ينطو على مواجهة عسكرية مباشرة بين الطرفين ، خصوصا بعد أن توصل الاتحاد السوفيتي إلى صناعة السلاح النووي، وصار في عرف المؤكد إن الحرب المباشرة تقود إلى دمار كامل للطرفين.

وزاد من حدة المواجهة الخلاف الأيديولوجي الحاد بين القوتين العظميين، إذ تبنت الولايات المتحدة نظاما رأسماليا ديمقراطيا، في حين كان الاتحاد السوفيتي يبشر بالأيديولوجية الشيوعية ويسعى إلى نشرها في العالم كله.

وضمت كل قوة مجموعة من الدول الحليفة والتابعة لها .فكان المعسكر الغربى الذى تقوده الولايات المتحدة يضم دول أوروبا الغربية واليابان، وتجسد عسكريا فى حلف شمال الأطلنطى "الناتو" (الذى انشئ فى عام ١٩٤٩ بهدف الدفاع عن أوروبا فى مواجهة الخطر السوفيتي) وفى المعاهدة الأمريكية اليابانية، فى حين ضم المعسكر الشرقى (الشيوعي) دول أوروبا الشرقية والصين، وتجسد هذا المعسكر فى حلف وراسو الذى انشئ فى عام ١٩٥٥ وضم دول أوروبا الشرقية تحت لواء الاتحاد السوفيتى .

ودار نزاع الحرب الباردة للسيطرة على مناطق العالم المختلفة، وخصوصا فى العالم الثالث فى آسيا وأفريقيا الذى كانت دوله قد نالت استقلالها عن الاستعمار فى أعقاب حركات التحرر الوطنى التى اجتاحت العالم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية.

وحاول كل معسكر ، باستخدام وسائل مختلفة تتراوح بين الدعاية والسياسة والحرب، أن يحول دون وقوع مزيد من الدول تحت سيطرة المعسكر الآخر.

وتجسد الصراع فى نزاعات وحروب مختلفة بدأت بالحرب الكورية فى عام ١٩٥٠، وهى حرب خاضتها الولايات المتحدة ـ تحت لواء الأمم المتحدة ـ لتحول دون وقوع كوريا تحت سيطرة المعسكر الشيوعي، وانتهت الحرب عام ١٩٥٣ بتقسيم كوريا إلى دولتين : جنوبية تتبع المعسكر الغربي، وشمالية تتبع المعسكر الشيوعى .

وانتشر في آسيا وأفريقيا ما يعرف بحروب الوكالة، التي تساند فيها واحدة من القوتين العظميين أحد أطراف النزاع في حين تساند القوة الأخرى الطرف الآخر . والبعض يشير إلى إن الكثير من الصراعات التي دارت في فترة الحرب البادرة(مثل الحروب الأهلية في أفريقيا وأمريكا اللاتينية والحروب العربية الإسرائيلية في الشرق الأوسط)سيمكن رؤيتها من زاوية الاستقطاب بين المعسكرين المتصارعين على السيطرة العالمية.

وفي بعض الأحيان تدخلت القوتان مباشرة في صراعات في العالم الثالث، مثلما فعلت الولايات المتحدة في حرب فيتنام (١٩٦٨ـ ١٩٧٥)، ومثلما فعل الاتحاد السوفيتي عندما قام بغزو أفغانستان في ١٩٧٩ . وفي كلتا الحالتين واجهت القوتان هزيمة مهينة أشارت إلى القوة المتزايدة لحركات التحرر الوطني في القيام بحروب محدودة ناجحة تستخدم فيها تكتيكات حروب العصابات .

وفي السبعينات بدأت حدة الحرب البادردة تخفت فيما سمي بسياسة " الوفاق "، واستطاعت القوتان العظميان الاتفاق على مجموعة من الأمور أهمها تهدئة حدة سباق التسلح بينهما.

وإذا كان صحيحا أن الاتحاد السوفيتي قد نجح في تحقيق تعادل مع الولايات المتحدة في الجانب العسكري . إلا أنه تخلف عنه في كل جانب آخر: في الثروة والتكنولوجيا والبنية التحتية، ورفاهية المواطنين .وعلى سبيل المثال فعندما تولى "جورباتشوف" السلطة في عام ١٩٨٥ كان الاتحاد السوفيتي يملك ٥٠ ألف كمبيوتر في الوقت الذى تمتلك فيه أمريكا ٣٠ مليون كمبيوتر، وبعد أربع سنوات اصبح في الاتحاد السوفيتي

٤٠٠ ألف كمبيوتر شخصي، وفى الولايات المتحدة ٤٠ مليونا . ويشير الكثير من المحللين إلى إن التجربة أثبتت أن اقتصاديات السوق والتوجهات الديمقراطية اكثر مرونة فى الاستجابة للتطورات التكنولوجية من النظام المركزى السوفيتى الذى أنشأه ستالين فى الثلاثينات والذى يناسب عصر المداخن وليس عصر المعلومات.

وفى نهاية الثمانينات كانت حوالى ٨% فقط من الصناعة السوفيتية قادرة على المنافسة العالمية، ومن الصعب أن تستمر كقوة عظمى إذا كانت ٩٢% من صناعتك اقل من المستوى المطلوب.

وبداية من أواخر الثمانينات أخذت دول أوروبا الشرقية تتخلى عن الأيديولوجية الشيوعية واحدة تلو الأخرى .واعتبر انهيار سور برلين ١٩٨٩، وتوحيد ألمانيا رسميا فى ظل دولة تتبنى الديمقراطية والرأسمالية فى عام ١٩٩٠ إشارة إلى انتهاء الحرب الباردة .وفى عام ١٩٩١ انهار الاتحاد السوفيتى نفسه، وتفكك إلى دول مستقلة .

عالم جديد؟

تميزت الفترة التى تلت الحرب الباردة بوجود قطب واحد مهيمن هو الولايات المتحدة، مع مجموعة أخرى من القوى أهمها الاتحاد الأوروبى واليابان والصين.

واخذ الصراع الدولى فى هذه الفترة أشكالا مختلفة، فظهرت انفجارات للحروب الأهلية والعرقية التى خاضتها شعوب مطالبة بحقها فى الانفصال عن دول ظلت متماسكة فقط بسبب ظروف الحرب الباردة .وكانت الحرب فى يوجوسلافيا(وكذلك فى اماكن مختلفة من القارة الأفريقية) مثالا رهيبا على هذه النوعية الجديدة من النزاعات .

ولأن الحرب انتهت بانتصار المعسكر الغربى فقد شهدت فترة ما بعد الحرب الباردة انتصارا لمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان، التى صار يشار إليها بوصفها مبادئ عالمية ينبغى على الجميع الالتزام بها .على أساس أنها الكفيلة وحدها بإحلال السلام فى العالم.

الفصل الثانى

مفاهيم أساسية :

كيف تتصارع الدول ؟

هل يمكن أن نجد منطقا ثابتا للصراع الدولى عبر التاريخ؟ بمعنى آخر: هل هناك طريقة واحدة لتفسير الصراع الدولى فى كل وقت وكل مكان؟ السؤال هنا ليس عن أسباب الصراع بين الدول . فهذا سنناقشه فيما بعد، ولكن السؤال عن تفسير ظاهرة الصراع بين الدول فى حد ذاتها.

إذا كان هناك مثل هذا المنطق الثابت فإن بإمكاننا التنبؤ بسلوك الدول وبنتيجة الصراعات مسبقا إذا قرأنا التاريخ بشكل جيد . وذلك لأن ما ينطبق على الحرب البيلوبونيزية (الحرب بين أثينا واسبرطة فى القرن الخامس قبل الميلاد) سينطبق على الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى القرن العشرين.

الحقيقة انه ليس لدينا هذا المنطق الثابت، وهى حقيقة يثبتها فشلنا فى التنبؤ بالكثير من الأحداث فى السياسة الدولية . وربما كان أحد الأسباب الأساسية وراء ظاهرة الصراع الدولى هو ضعف القدرة على التنبؤ، فلو كان لدى القادة ورجال السياسة كرات بلورية تخبرهم بالذى سيحدث فى المستقبل لتغيرت قراراتهم تجاه الكثير من الأحداث (على الأقل لن تدخل الدول حروبا خاسرة) .

وبالرغم من انه ليس لدينا هذا المنطق الثابت الذى يحكم ظاهرة الصراع الدولي، فإنه لدينا الكثير من المفاهيم الثابتة التى يستخدمها المحللون والمؤرخون فى تفسير الصراعات والحروب والتنبؤ بالصراعات المستقبلية.

هذه المفاهيم هى مفاهيم بالغة البساطة، بعضها بقى على حاله وبعضها يخضع لتغير مستمر. وهى تساعدنا فى فهم البيئة التى يدور فيها الصراع الدولى .. أنها تعطينا خلفية عن طبيعة السياسة الدولية التى تؤدى إلى اندلاع الصراعات بين الدول .

أولا: الفوضوية:

ماذا نعنى عندما نقول إن النظام الدولى هو نظام "فوضوي"؟ هل معنى ذلك أنه ليس هناك أى نظام يحكم السياسة الدولية، وأنها تعانى من حالة من الفوضى الشاملة؟

بالتأكيد لا، لأننا نعرف أن هناك مجموعة من القواعد والأعراف التى تحكم العلاقات بين الدول، وهى القواعد التى تم التعارف على تسميتها بالقانون الدولي .ولكننا نعرف أيضا أن القانون الدولى لا يتم تطبيقه فى كل الأحوال . وعلى سبيل المثال فالقرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن فى عام١٩٦٧ يقضى بانسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى حرب الأيام الستة، ولكنها لم تفعل ذلك حتى الآن.

ما الذى يحول دون تطبيق القانون الدولي؟ . السبب بسيط ، وهو انه ليست هناك سلطة عليا تفرض تطبيق هذا القانون، وهذا ما نعنيه بالضبط عندما نقول أن السياسة الدولية تعانى من

الفوضوية .فليست هناك فى العالم سلطة اعلى من سلطة الدولة. ويخطئ كثيرا من يظن أن الأمم المتحدة حكومة عالمية فسيادة الدول الأعضاء تحميها مواثيق دولية، والمواد من ٢-٧ من ميثاق الأمم المتحدة تنص على أنه " لا يوجد فى ميثاق الأمم المتحدة ما يخول لها التدخل فى شئون الدول الداخلية".

وبنفس المنطق لا يصح أن نعتبر محكمة العدل الدولية سلطة قضائية عليا، فالمحكمة تتكون من ١٥ قاضيا يتم انتخابهم عن طريق الأمم المتحدة لمدة تسع سنوات، ولكنها ليست محكمة دولية عليا .فمن حق الدولة إن ترفض سلطتها القضائية، وقد ترفض دولة أن تقبل حكمها حتى إذا قبلت سلطتها القضائية.

إن الأمم المتحدة ليس لديها جيش يستطيع التدخل لفرض إرادتها، وكذلك فإن محكمة العدل الدولية ليس عندها جهاز شرطة يقوم على تنفيذ قراراتها.

وفى النظام الداخلى لكل دولة، تحتكر الحكومة سلطة استخدام القوة، ولكن على النطاق الدولى ليست هناك هيئة تحتكر استخدام القوة، حيث لم توجد بعد حكومة عالمية . وإذا كنا نشعر بالأمان على أنفسنا وممتلكاتنا، فذلك راجع إلى شعورنا بأن هناك قانونا، وهناك سلطة لفرض هذا القانون بالقوة إذا لزم الأمر. ولكن الدول لا تستطيع إن تشعر بمثل هذا الأمان، فالسياسة الدولية هى مجال الاعتماد على الذات، حيث تتعلم كل دولة إن تحاول الحفاظ على أمنها بمفردها فى عالم لا تحكمه سلطة عليا، أو قانون يتم تطبيقه بالإجبار.

ولهذا فان الفيلسوف الإنجليزى الشهير " توماس هوبز " كان يرى أن العلاقات بين الدول ينطبق عليها ما اسماه "حالة الطبيعة" وتعنى حالة حرب الجميع ضد الجميع. وهو لم يكن يعنى بهذا أن الدول تعيش حالة حرب دائمة ضد بعضها البعض، ولكن كان يشير إلى انه هناك دائما توقع بأن تنشأ حرب..." تماما مثلما أن الجو العاصف لا يعنى سقوط المطر باستمرار، فإن حالة الحرب لا تعنى حربا دائمة " .

ما الذى تفرضه هذه الحالة " الفوضوية " على الدول ؟ .. هذه الحالة تجعل الدول تواجه ما يسمى بـ " **معضلة الأمن** "، حيث تحاول الدولة أن تحافظ على أمنها بمفردها، فتقوم باتخاذ بعض الإجراءات التى من شانها الحفاظ على هذا الأمن مثل الاهتمام بتقوية قدراتها العسكرية والاحتفاظ بجيش قوي .فى حين ترى الدول الأخرى أن هذه الإجراءات التى تقوم بها الدولة للحفاظ على أمنها قد يكون غرضها عدائيا وليس لمجرد الدفاع. وفى عالم فوضوى ليس هناك مجال للتأكد من النوايا الحقيقية للدولة.

ولنتخيل مثلا أن دولة من الدويلات اليونانية القديمة تحاول الحفاظ على أمنها فتقوم ببناء سور يحميها .فى هذه الحالة فإن الدول الأخرى سوف تعتقد أن هذه الدولة تقوم بذلك لكى تحصن نفسها فى مواجهة الآخرين تمهيدا للهجوم عليهم، مما قد يدفعهم للقيام بعمل عدائى يعطل بناء هذا السور، وهكذا ينشا الصراع - دون أن يقصد أى طرف - بسبب معضلة الأمن.

وهذه المعضلة لا يمكن أن تنتهى طالما أن نظام الدول ظل فوضويا لا تحكمه سلطة عليا . وعلى سبيل المثال فقد تبنت إدارة

الرئيس كلينتون، ومن بعده إدارة الرئيس بوش الابن، مشروعا سمى "بمشروع الدفاع الصاروخى " يهدف - دون الدخول فى تعقيدات تكنولوجية - إلى بناء غطاء واق يحمى الولايات المتحدة من هجمات على أراضيها بالسلاح النووى الذى تحمله صواريخ باليستية عابرة للقارات عن طريق نظام يتتبع هذه الصواريخ ويقوم باصطيادها عند إطلاقها . وقد عارض الكثيرون - بمن فيهم حلفاء لأمريكا فى أوروبا - هذا المشروع على الرغم من أنه يعتبر فى نظر الولايات المتحدة الأمريكية إجراءً دفاعياً بحتاً.

وعلى حد قول أحد الخبراء الاستراتيجيين الأمريكيين: "ما الذى يضيرهم فى حماية سكان أمريكا من هجوم على أراضيها بالسلاح النووي؟ .. هل يشعرون بأمن اكثر عندما يكون سكان الولايات المتحدة معرضين للخطر؟".

إن هذا المثال يعبر عن معضلة الأمن بوضوح: الدول الأخرى ترى إن تمتع الولايات المتحدة بهذه الميزة الدفاعية الهامة يعطيها فرصة لأن تكون فى موقف أكثر أمنا فى مواجهتهم، وبالتالى تصبح اكثر تهديدا لهم لأنها تستطيع استهداف أراضيهم بالسلاح النووى فى حين لا يستطيعون هم فعل الشيء نفسه.

ثانيا : الواقعية وسياسات القوة :

فى عالم تسوده الفوضوية، وتعانى الدول فيه من معضلة الأمن، لا يكون أمام الدولة إلا تنمية قدراتها الذاتية كى تتمكن من الدفاع عن نفسها فى مواجهة الدول الأخرى . فهى تبدأ فى التفكير فى اتباع **استراتيجية** معينة للحفاظ على أمنها قد تنطوى على بناء قدرات عسكرية كبيرة، ووضع خطط طويلة المدي . وقد يكون

من ضمن هذه الخطط الدخـول فـى **حلف** مـع دول أخـرى لزيـادة قوتها.

التفكير بهذه الطريقة التى تعطى أهمية كبيرة للأمـن وللقـوة، يسمى تفكيرا واقعيا. أى أنك ترى العالم كما هـو لا كمـا ينبغـى أن يكون.

وعندما تفكر بطريقة واقعية فلا مجال للأخلاق أو العواطـف، فالمهم هو الأمن وحسابات القوة وتوازناتها. وربما كـان هـذا مـا دعا ستالين إلى رفض رأى البابا ذات مرة قـائلا: "كم لـدى البابـا من دبابات؟" فلا شيء يهم هنا سوى القوة.

ولكن ما هى القوة؟ أنها القدرة على إجبار طرف آخر علـى أن يفعل ما لم يكن ليفعله فى غياب هذه القوة.

ولكن هذا مفهوم مجرد، والأسهل أن نعـرف القـوة مـن خـلال الإمكانيات: فهناك مؤشرات معينة يمكن من خلالها أن نقيس قدرة الدولة وقوتها، من هذه المؤشرات مثلا "الناتج القومى الإجمالي" وهو مقدار ما تنتجه الدولة من سلع وخدمات فى فترة عـام واحـد. وهو مقياس جيد لقوة الدولـة فـى المجـال الاقتصـادي، لأنـه يعبر أيضـا عـن حجـم الدولـة مـن ناحيـة السـكان ومسـتوى المعيشـة، والمستوى التكنولوجي. وإذا كان لدى الدولة اقتصاد مزدهر فإنـها تسـتطيع بنـاء قـدرات عسـكرية متطـورة، حيـث يمكــن ترجمــة الموارد الاقتصادية إلى قوة عسكرية.

وعلى سبيل المثال، فبعد أن هاجمت اليابـان الولايـات المتحـدة فى "بـيرل هـاربر" فـى عـام ١٩٤١، كـان لديـها قـوة عسـكرية مهيمنة مكنتها من السـيطرة علـى أقـاليم فـى جنـوب شـرق آسـيا، ومن طرد الولايات المتحدة من المنطقة. وعندما غـادر الجنرال الأمريكـى "دوجـلاس مـاك آرسـثر" الفلبيـن تحـت وطـأة الـهجوم

الياباني قال: "سوف أعود" .. وبالفعل عاد ثانية بعد هزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية، ليصبح ممثل السلطة العليا فى اليابان تحت الاحتلال الأمريكي، فكيف حدث هذا؟

قوة اليابان العسكرية مكنتها من إحراز انتصارات على المدى القصير، ولكن فى السنين القليلة التى تلت ذلك استطاعت الولايات المتحدة ـ بسبب قوة اقتصادها ـ أن تبنى قوة عسكرية تعادل، ثم تجاوز، قدرة اليابان فى الباسيفيك.

الاقتصاد إذاً يمكن إن يعطينا مؤشرا عن قدرات الدولة، وعن نتائج الصراعات التى تخوضها . ولكن المسألة ليست بهذه البساطة، فالدول لا تستطيع دائما أن تقدر إمكانيات خصومها بشكل كامل، وهناك دائما إمكانية للخطأ فى الحساب، بل وللمغامرة أيضا! .

وعلى سبيل المثال فإن العراق صمم على دخول الحرب فى مواجهة الولايات المتحدة التى كانت تقود تحالفا دوليا لتحرير الكويت فى عام ١٩٩١، بالرغم من أن الدخل القومى الأمريكى يبلغ مائة ضعف الدخل القومي العراقي، فى حين يبلغ عدد سكان الولايات المتحدة نحو عشرة أضعاف عدد سكان العراق.

ما الذى جعل العراق يدخل الحرب رغم علمه بمثل هذه الحقائق؟ .. لاشك فى انه ارتكب خطأ معينا فى الحساب . وبعض المعلقين يشيرون مثلا إلى انه فهم من كلام السفيرة الأمريكية فى العراق قبيل الغزو أن الولايات المتحدة لن تتحرك إذا ما اقدم على مهاجمة الكويت وضمها.

وثبت فيما بعد أن حسابات صدام حسين لم تكن صائبة، وأن تقديره للموقف الأمريكي لم يكن فى محله . وهذا يدلنا على أن القيادة السياسية الحصيفة هى أحد مصادر القوة، فالقادة والدبلوماسيون يستطيعون تجنيب بلادهم خسائر فادحة إذا تمتعوا بالحس السليم لتقدير الموقف.

ويمكن أن نطرح مثالا آخر فى هذا المجال: فقبل أيام من حرب ١٩٦٧ أرسل جمال عبد الناصر وفدا إلى الاتحاد السوفيتى كان على رأسه شمس بدران وزير الحربية . وكان الغرض من إرسال هذا الوفد التعرف على حقيقة الموقف السوفيتى فى حالة اندلاع حرب مع إسرائيل (التى تتمتع بالدعم الأمريكي) . وعندما عاد شمس بدران من رحلته صرح فى اجتماع لمجلس الوزراء بأن "الاتحاد السوفيتى معنا، وأنهم مستعدون لضرب الأسطول السادس الأمريكي . وطبقا لتعبير شمس بدران "سيشفونه عظم ولحم" أى سيمزقونه . ولكن السفير احمد حسين الفقى (وكان عضوا فى الوفد المصري) كذب - بعد أن وقعت الكارثة - هذا القول، وقال أن الاتحاد السوفيتى لم يعد بشيء من هذا القبيل. وأن شمس بدران كان مشغولا بشراء أساس ولوازم لمنزله ! وأثبتت الأحداث التى تلت ٥ يونيو ١٩٦٧ أن شمس بدران لم يكن محقا فى تقديره للموقف السوفيتي.

والغرض من هذه الحكاية هو أن نعرف أن الدبلوماسيين ورجال الدولة يمكن اعتبارهم رصيدا اضافيا يضاف إلى مصادر قوة بلادهم، او على العكس يصبحون خصما من رصيد هذه القوة إذا لم يتمتعوا بالمهارة والكفاءة اللازمة لتقدير المواقف الدولية المختلفة، وتحديد مصلحة بلادهم الوطنية والدفاع عنها.

ثالثا: الجغرافية السياسية:

الجغرافية السياسية أو (الجيوبوليتيكس) هى إحدى العناصر الأساسية فى طريقة التفكير الواقعية فى السياسة الدولية . فالدول عندما تقوم بحساب قوتها وقوة خصومها تأخذ فى اعتبارها عامل الموقع على أساس انه عنصر مهم من عناصر القوة يتعلق بالأمن العسكرى بشكل مباشر . ولهذا السبب فإن رجال الدولة يستعينون بالخرائط عندما يفكرون فى مسائل الصراع الدولي.

وفى الجغرافية السياسية هناك ثلاثة اعتبارات بالغة الأهمية: الموقع والموقع والموقع! فالدول تزيد من قدرتها بقدر اعتمادها على الجغرافية السياسية لدعم قوتها العسكرية عن طريق اجراءات معينة مثل: تأمين حلفاء وقواعد قريبة من قوة مناوئة، او قطع طرق التجارة الاستراتيجية على الخصم . . الخ .

وعلى سبيل المثال، فإن موقع مصر المتميز الذى يقع فى قلب طرق المواصلات العالمية فرض عليها أن تقع فريسة للغزاة فى فترات طويلة من التاريخ .فنابليون قام بغزو مصر فى ١٧٩٨ لكى يقطع طريق بريطانيا إلى الهند، فى حين أدركت بريطانيا أهمية الاحتفاظ بمصر ، لا لأهميتها فى حد ذاتها، ولكن لأنها من الناحية الجيوبوليتيكية لاغنى عنها للدفاع عن الامبراطورية البريطانية فى الشرق .

ورجال الدولة المصريون عرفوا منذ القدم حساسية الموقع الجغرافى لمصر ، فقام الفراعنة على سبيل المثال بغزو الشام، لأنهم عرفوا أن اغلب الغزوات تاتى من الشرق، وأن من الأهمية بمكان تأمين هذه المنطقة التى تعتبر خط الدفاع الأول عن مصر .

وليس صدفة أن الكثير من حكام مصر فى العصور الحديثة فكروا بنفس الطريقة ومنهم محمد على باشا.

ويشير بعض المحللين المصريين، إلى إن دخول مصر فى الصراع العربى الاسرائيلى يرجع اساسا إلى اسباب جيوبوليتيكية تتعلق بالأمن القومى المصري، إضافة إلى الأسباب القومية. فوجود دولة معادية مثل اسرائيل على الحدود الشرقية لمصر يجعل أمنها مهددا.

والذين ينظرون إلى السياسة الدولية نظرة واقعية يقولون بأن هناك احتمالات لتكرار السياسات الخارجية من جانب بعض الدول على اساس أن الموقع لا يتغير .وبالتالى يمكننا توقع ما ستفعله دولة معينة اعتمادا على موقعها الجغرافي.

وعلى سبيل المثال، فمن العقد التقليدية فى الجغرافية السياسية أن تكون الدولة محاصرة بأرض من كل اتجاه .فى هذه الحالة تشعر الدولة بأنها تريد الحصول على مجال اوسع للحركة، وتسعى بكل الوسائل للوصول إلى المياه . وألمانيا واجهت هذه المشكلة قبيل الحرب العالمية الأولى فقد شعرت بأنها محاصرة من جميع الجهات، وأخذت تثير جلبة حول الحصول على " متنفس " .وفى القرن التاسع عشر حذر رئيس الوزراء البريطانى لورد بالمرستون من أن روسيا لديها نزعة جارفة تدفعها إلى الوصول إلى المياه الدافئة (المحيط الهندي) . وفى عام ١٩٧٩ عندما قام الاتحاد السوفيتى بغزو افغانستان اعتبر بعض الساسة الأمريكيون أن الاتحاد السوفيتى يسعى إلى نفس الغرض الذى تحدث عنه بالمرستون منذ اكثر من قرن من الزمان، وأن الدافع وراء هذه الحرب هو نفس هذه الرغبة " الجيوبوليتيكية ".

وهناك مشكلة أخرى تثيرها الجغرافية السياسية تتعلق باحتمال أن تواجه الدولة الهجوم من ناحيتين، وفى خلال الحرب العالمية الأولى واجهت ألمانيا هذه المشكلة، فقد اضطرت للقتال على جبهتين فى نفس الوقت: روسيا فى الشرق، وفرنسا وانجلترا على الجبهة الغربية. فى حين استطاعت أن تتجنب هذه المشكلة خلال الحرب الثانية عن طريق الحلف الذى عقده هتلر مع ستالين.

وخلال الحرب الباردة اجبر الحلفاء الغربيون الاتحاد السوفيتى على أن يواجه نفس هذه المشكلة، فالولايات المتحدة احتفظت بقوات عسكرية فى غرب أوروبا وكذلك فى اليابان.

ولا يعنى ذلك أن الدول التى لا تعانى من عقدة الوقوع فى المركز لا تعانى من مشاكل تتعلق بالجغرافية السياسية، فالحقيقة أنها تعانى من مشاكل من نوع آخر . فرغم إن موقع بريطانيا (كجزيرة تحميها المياه من هجوم من جانب الدول الأوروبية) حماها سنوات طويلة من الغزو إلا أنه سبب لها عقدة أخرى، وهى صعوبة نقل قواتها بسرعة إلى مسارح المعارك فى القارة الأوروبية. وبدرجة أو بأخرى تعانى الولايات المتحدة من نفس المشكلة الجغرافية، فالمحيط الأطلنطى وفر لها حماية من الغزو ولكنه صعَّب عليها عملية نقل القوات للاشتراك فى معارك فى مناطق بعيدة، وفرض عليها حالة من الانعزال عن المسرح الأساسى للشئون الدولية (قارة أوروبا)لسنين طويلة .

رابعاً: المساومة:

المساومة تعد من المفاهيم الأساسية فى عالم الصراع الدولي، فالدول تسخر كل الطاقات والإمكانيات التى تحدثنا عنها سابقا لكى تحقق مصلحتها الوطنية التى تتعلق اساسا بزيادة قوتها.

والمساومة قد تأخذ شكلا رسميا فتصبح مفاوضة، وفى المفاوضات تستخدم الدولة نفوذها وقدراتها من اجل الوصول إلى النتائج المرجوة.

ولكن المساومة تدور أيضا فى ساحات المعارك ! .. نعم فالمعارك الحربية - التى هى اكثر الصور تطرفا لظاهرة الصراع الدولى - يمكن اعتبارها مساومة حول قيمة يختلف عليها الطرفان. وفون كلاوزوفيتس - الكاتب الاستراتيجى الألمانى الذى عاش فى النصف الأول من القرن التاسع عشر والذى يعتبر كتابه " عن الحرب " مرجعا لا غنى عنه لرجال الدولة والعسكريين فى كل العصور - كتب ذات مرة إن " الحرب هى امتداد للسياسة بوسائل أخرى " ومعنى ذلك إن الدولة تسعى إلى المساومة لتحقيق مصالحها وزيادة نفوذها على طاولة المفاوضات وفى ميادين المعارك.

وعالم الصراع الدولى مليء بالمساومات من كل نوع وحول كل شيء، ويمكن اعتبار كل صراع دولى - سواء اخذ صورة الحرب او لا - نوعا من انواع المساومة.

ولكى تحقق الدولة النتائج المرجوة من عملية المساومة فإنها تقوم بعمل خطط طويلة المدى لحشد إمكانياتها ومصادر قوتها لتحقيق الأهداف . وهذا ما يسمونه بـ" **الاستراتيجية**".

وعندما يسعى رجال الدولة إلى التفكير فى الاستراتيجيات طويلة المدى فإنهم يواجهون الكثير من الصعوبات والعقبات، فأنت تصمم استراتيجيتك بناء على ما تراه الآن فى حين أن عالم الصراع الدولى مليء بالمفاجآت غير المتوقعة .

ومن العقد التقليدية التى تواجهها الدول فى هذا المجال الاختيار بين القدرات التى يتم تنميتها فى وقت معين .مثلا : ما حجم القوات العسكرية التى يجب الاحتفاظ بها فى وقت السلم؟ . . الاحتفاظ بقوة عسكرية كبيرة قد يحقق الأمن للدولة، ولكنه - من ناحية أخرى - يثقل كاهل الاقتصاد القومى مما قد يعرض الدولة لمشكلات اكبر .وهذه مشكلة واجهها الاتحاد السوفيتى فى وقت الحرب الباردة .

إن الدول تحاول أن تصل إلى استراتيجية تناسب حجم قدراتها، وتناسب أيضا الموقف الذى تستخدم فيه . وغالبا ما تتضمن الاستراتيجيات مجموعة من الخيارات .. وهى سلسلة من الأفعال التى يتم التخطيط لها بدقة لكى تأتى بأكبر تأثير ، كأن تستخدم الدولة الخداع للتأثير على مفاهيم الآخرين فى مواقف معينة، وأن تلجأ إلى تشكيل الأحلاف، أو استخدام خطة بديلة لسرعة الاستجابة للظروف الطارئة .

وإذا دارت المساومات على طاولة المفاوضات فهناك استراتيجيات معروفة، منها مثلا البدء بسقف طلبات مرتفع تماما

عندما تساوم البائع فى السوق المصرى على شراء سلعة معينة فتبدأ بأدنى سعر ممكن .. وتستمر عملية المساومة (الفصال بالعامية المصرية) إلى إن يتم التوصل إلى سعر وسط يكون اقرب ما يكون إلى السعر الذى حددته أنت فى ذهنك منذ البداية ! ..

وهناك استراتيجية الالتزام بموقف محدد والإعلان أن هذا موقف نهائي، على أمل أن يتجاوب الطرف الآخر فى النهاية. والسياسيون السوريون يتبنون هذه الاستراتيجية بخصوص منطقة "الجولان " التى احتلتها إسرائيل فى حرب ١٩٦٧.

وهناك استراتيجية تجزئة المشكلة إلى مواضيع منفصلة، على أساس أن حل المشاكل الصغيرة واحدة تلو أخرى يسهل التوصل إلى حل نهائى للمشكلة الكبرى .وهذه الاستراتيجية تشكل الأساس الذى تقوم عليه عملية السلام بين الفلسطينيين وإسرائيل منذ توقيع اتفاقية أوسلو ١٩٩٣ .فقد تم تجزئة القضية إلى عدة مواضيع منفصلة : طبيعة الدولة الفلسطينية .. الحدود..اللاجئون..المياه..القدس...الخ.

وكما أن هناك استراتيجيات معروفة للمساومة على طاولة المفاوضات فهناك استراتيجيات معروفة للمساومة فى مجال الصراع الدولى بشكل عام .

" **الرد بالمثل** " يعتبر من أهم هذه الاستراتيجيات المعروفة، فهو استراتيجية سهلة الفهم وتأتى بنتائج باهرة .

ولكى نفهم استراتيجية الرد بالمثل لابد أن نعرف ان الدول تحاول عندما تصمم استراتيجيتها أن تضع فى اعتبارها

استراتيجيات الأطراف الأخرى . وفى هذه الحالة فإن الدولة لابد أن تعرف نوايا هذه الأطراف .وهذا أمر صعب فى حالة الدولة، فحتى التصريحات والخطب الرسمية قد تنطوى على خداع وتضليل .

وعلماء السياسة يروون مثالا طريفا يجسد هذا الموقف : لنتخيل أن الشرطة ألقت القبض على اثنين من المجرمين بتهمة حيازة كمية ضئيلة من المخدرات، وهى تعلم تماما انهم يعملون فى تجارة المخدرات ولكنها لا تستطيع إثبات ذلك ألا إذا اعترفا على نفسيهما.

فى هذه الحالة تقوم الشرطة باستجواب كل واحد منهم على حدة، وتقول لكل واحد انه إذا اعترف على زميله فسيخرج من القضية لتعاونه ويعتبر " شاهدا ملكا " .فى حين إذا اعترف عليه زميله ولم يعترف هو فسينال عقوبة ٢٥ عاما .أما إذا اعترف كل منهما على الآخر فسينالا عشر سنوات لكل منهما .

ويفكر كل واحد من السجينين بالطريقة التالية : من الأفضل ألا اعترف، لأننا إذا تمسكنا بالصمت، فسننال عقوبة قصيرة لن تتعدى سنة لحيازتنا هذه الكمية الضئيلة من المخدرات .ولكن ماذا إذا سكت أنا واعترف هو على ؟ .. سأنال انا عقوبة ٢٥ عاما بينما يخرج هو من القضية .ما الذى يضمن لى ألا يفكر هو بنفس الطريقة ويعترف على؟ . وتكون النتيجة الطبيعية لهذا النمط من التفكير هى أن يعترف السجينان على بعضهما البعض، لأن كل واحد منهما يحاول أن يحقق مصلحته الذاتية ويشك كثيرا فى نوايا الطرف الآخر.

الدول تجد نفسها فى نفس هذا الموقف المعقد، فهى تشك فى نوايا الدول الأخرى، وتسعى إلى تحقيق مصلحتها الذاتية على حساب هذه الدول . فكيف يمكن حل هذه المعضلة؟

استراتيجية " **الرد بالمثل** " أثبتت أنها الحل الأمثل للخروج من هذه الورطة، فهى تعنى استجابة من نفس نوع الفعل : أى إذا لجأت إلى الصراع سألجا أليه (الاعتراف فى حالة السجينين وهو يقود حتما إلى خسارة على الجانبين) .أما إذا لجأت إلى التعاون فسيكون ردى بالمثل (السكوت فى حالة السجينين وهو يقود إلى منفعة متبادلة).

إن المشكلة مع السجينين، هى انهما يجدان نفسيهما فى هذا الموقف المصيرى مرة واحدة . ولكن ماذا إذا تخيلنا أن واحدا منهما كان مجرما معروفا بـ "الجدعنة " , وبأنه لم يعترف على زملائه من المجرمين فى مواقف سابقة ؟ .. فى هذه الحالة سوف يكون هناك مجال اكبر للثقة .

ونفس المنطق ينطبق على الدول، فالدول تحصل على سمعتها الدولية من المواقف السابقة بحيث يصبح فى مقدور الدول الأخرى أن تتخيل رد فعل الدولة فى مواقف معينة . وهنا يمكن بسهولة حساب منافع التعاون وخسائر الصراع .

إن الرد بالمثل - أو واحدة بواحدة - استراتيجية فعالة لتحقيق التعاون فى مواقف التضارب فى المصالح .وهى لا تحتاج إلى التصريح بها علانية .

على سبيل المثال فى عام ١٩٦٩ كانت الولايات والمتحدة والصين على عداء كبير لبعضهما البعض، فالثورة الثقافية

الصينية التى قادها الزعيم "ماوتسى تونج " كانت تنادى بشعارات شديدة العداء للغرب , وكانت فيتنام تتلقى مساعدات من الصين فى حربها مع الولايات المتحدة .

وبالرغم من ذلك فقد سعى الرئيس " نيكسون " بمعاونة مستشاره للأمن القومى " هنرى كيسنجر " إلى تقارب مع الصين لأنهما فهما أن هذا التقارب يقوى مكانة أمريكا فى المواجهة مع عدوها الرئيسى وهو الاتحاد السوفيتى .

ولكى ينفذ نيكسون سياسته بدأ بإجراءات بسيطة فقام بتخفيف الحصار الاقتصادى المفروض على الصين ، وسرعان ما قامت الصين بالاستجابة فأطلقت سراح ثلاثة مواطنين أمريكيين انحرف بهم قارب بالقرب من المياه الإقليمية للصين وهنا أدرك نيكسون إن الصين فهمت الرسالة، وبدأ فى اتخاذ إجراءات اكثر فى اتجاه التقارب مع الصين انتهت بزيارته لبكين فى عام ١٩٧٢. وهذا ما نعنيه بأن المعاملة بالمثل تأتى بنتائج باهرة فى مجال الصراع الدولى .

وعندما يكون الغرض من استراتيجية الرد بالمثل هو التهديد بعقاب طرف آخر إذا اقدم على فعل معين يطلق عليها "الردع ". والردع معناه إلقاء الرعب فى قلب الطرف الآخر لجعله لا يفكر فى الهجوم .

وبهذا المعنى يمكن فهم فكرة " السلام عبر القوة " ونحن لا نشعر بالردع لأن مقياس نجاحه هو الحروب التى لم تقع، والتى ساهمت سياسة الردع فى منعها .

والسياسة المعاكسة للردع هى "الاسترضاء"، وهى تعنى التسليم ببعض مطالب الطرف الآخر تجنبا للحرب . وهى سياسة خطيرة جدا لأنها تنطوى على احتمال بان يقوم الطرف الآخر بالتمادى فى مطالبه بعد إن اقتنع بضعف الآخرين وخوفهم منه. وكما رأينا فى الفصل السابق، فإن بريطانيا اتبعت هذه السياسة مع ألمانيا قبيل الحرب العالمية الثانية عندما سعى رئيس الوزراء الإنجليزى "نيفل تشمبرلين" إلى عقد صلح يسلم فيه ببعض التنازلات لهتلر فى ميونخ ١٩٣٨ . وكانت النتيجة هى تمادى هتلر فى سياسته العدوانية مما قاد فى النهاية إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية .واليوم تشير كلمة " ميونخ " إلى الاسترضاء المهين لتجنب الحرب بأية طريقة.

وهذا لا يعنى أن سياسة الاسترضاء لا تنجح فى جميع الأحوال، ففى مؤتمر فيينا ١٨١٥ الذى عقد فى أعقاب الحروب النابوليونية، قامت الدول الأوروبية باسترضاء فرنسا والتسليم ببعض مطالبها بالرغم من هزيمتها العسكرية . وكان الهدف هو احتواؤها وإثنائها عن القيام باعتداءات جديدة فى المستقبل، وقد أثبتت هذه السياسة نجاحا كبيرا فى هذا الوقت . والخلاصة هى أن رجال السياسة لابد أن يتعلموا فى أى وقت يستخدمون الردع وفى أى وقت يستخدمون الاسترضاء.

وإذا كان الكثيرون يعبرون عن خوفهم من استخدام السلاح النووي، فإن خبراء السياسة يردون بأن الردع هو ما يجعل الدول تفكر مرتين قبل استخدام هذا السلاح، فهناك مبدأ "الدمار المؤكد المتبادل" الذى يعنى إن استخدام إحدى الدول المالكة

للسلاح النووى لهذا السـلاح فـى مواجهـة دولـة أخـرى تملكـه، أو دولة حليفة لها يعنى أن تتعرض هى الأخرى لضربة نووية .

وعندما تفشل استراتيجية الردع فـى تحقيـق هدفـها فـإن الـدول تستخدم استراتيجية " **الإجبار** " الذى يعنـى اسـتخدام القـوة لإقنـاع أحد الأطراف باتخاذ موقف معيـن (الانسـحاب مـن أراض يحتلـها على سبيل المثال) ، وليس الامتناع عن اتخاذ موقف معين كما هو الحال مع الردع.

أما مفهوم "**التصعيد** " فيشير إلى استراتيجية تستخدمها الدولـة لإجبـار الأطـراف الأخـرى علـى اتخـاذ موقـف معيـن مـن خـلال سلسلة من " العقوبات " التى تـتزايد بـالتدريج لكـى تقنـع الطـرف الآخر باستعداد الطرف الأول لاستخدام القوة، وبالتكلفة المحتملـة لإصـراره علـى موقفـه .وأحيانـا يتحـول التصعيـد - عندمـا يتـم ممارسته بين طرفيـن علـى نحـو متبـادل - إلـى "**سباق تسلح** ". ويعنى أن تقوم الدولة بزيادة قوتها العسـكرية، فتسـتجيب دولـة - معادية - بزيادة قدراتـها العسـكرية هـى الأخـرى، وتتكـرر هـذه العملية فى دائرة مفرغة لا تنتهى .

ويـرى الكثـيرون إن سـباقات التسـلح مسـئولة عـن وقـوع الحروب، لأنها تقود فى وقت ما إلى مواجهة .وعلى سبيل المثـال فإن المؤرخين يشيرون إلى أن السباق فى بناء القـوة البحريـة بيـن ألمانيا وبريطانيا فى مطلع هذا القرن، كان أحد الأسباب الرئيسـية وراء اندلاع الحرب العالمية الأولي.

ولكن من ناحية أخرى، فـإن سباقات التسـلح يمكـن إن تـؤدى إلـى إنـهاء الحـروب، فعندمـا أعلـن الرئيس الأمريكـى "رونـالد

ريجان" عن برنامجه التسليحى المسمى بـ "حرب النجوم" لم يستطع الاتحاد السوفيتى مجاراته فى هذا السباق .وكان ذلك أحد الأسباب التى أدت إلى نهاية الحرب الباردة .

وبعض مواقف التصعيد يطلق عليها أحيانا سياسة "**حافة الهاوية**"، وهو مصطلح نسمعه كثيرا فى نشرات الأخبار فيقال مثلا : " إسرائيل تتبع مع العرب سياسة حافة الهاوية..الخ . " ، وعلماء السياسة يشبهون هذه السياسة بلعبة خطيرة كان يمارسها المراهقون فى الولايات المتحدة، حيث يتفق اثنان على قيادة سيارتهما كل منهما فى مواجهة الآخر بسرعة كبيرة، والذى ينحرف أولا باستخدام عجلة القيادة يصبح خاسرا ويوصم بالجبن.

وكما فى هذه اللعبة الخطيرة فإن سياسة حافة الهاوية تحتاج إلى درجة كبيرة من السيطرة على الأعصاب، لأنها قد تقود فى أى لحظة إلى هاوية محققة !

خامساً : الأحلاف وتوازن القوي :

إحدى الاستراتيجيات الأساسية التى تستخدم فى عالم الصراع الدولى هى استراتيجية الدخول فى أحلاف .و"**الحلف** " هو تكتل بين دول تسعى إلى تنسيق تحركاتها لإنجاز هدف ما .

وهذا التعريف واسع جدا ولا ينطبق على كل التحالفات التى نعرفها فى العالم المعاصر . فلابد للتحالف أن يشمل قسما كبيرا من المسائل التى تتعلق أساسا بالأمن الدولي، والتى تمتد ـ فى

الغالب - لفترة طويلة من الوقت .ولا يسمى الاتفاق على هدف محدود لفترة قصيرة من الوقت تحالفا.

والحلف يتكون فى الغالب لمواجهة تهديد معين، فعلى سبيل المثال لجأت العراق فى خلال حربها مع إيران (١٩٨٠ - ١٩٨٨) إلى التحالف مع دول مجلس التعاون الخليجي والاستعانة بأرصدتها المالية لشراء المعدات العسكرية التى كانت تحتاج أليها فى الحرب .ولم تتحالف دول مجلس التعاون مع العراق بدافع من شعور قومي، وانما لشعورها بالخوف من التهديد الذى صارت تمثله إيران على أمنها حيث كانت تعمل على "تصدير ثورتها " الإسلامية إلى هذه الدول، مما هدد نظم الحكم فيها .وهنا حدث تبادل فى المنفعة بين العراق والدول الخليجية، وتلك هى طبيعة التحالف .فهى لا تقوم على عواطف وانما على مصالح.

وبطبيعة الحال، فإن المصالح يمكن إن تتبدل .وهذا بالضبط ما يجعل التحالفات فى السياسة الدولية ذات طبيعة متغيرة ومائعة. وقد قال الرئيس الفرنسى شارل ديجول ذات مرة " إن فرنسا ليس لديها أصدقاء دائمون أو أعداء دائمون، وانما فقط مصالح دائمة!".. وهذا يذكرنا أيضا بما قاله نابليون : " إن المعاهدات تحترم فقط، طالما كانت منسجمة مع المصالح !"

والتاريخ يحمل لنا امثلة كثيرة على تحالفات غير متوقعة، مثل التحالف بين ستالين وهتلر - بالرغم من تناقض نظاميهما فى المجال الأيديولوجى - فى ١٩٣٩ عشية الحرب العالمية الثانية، وهو التحالف الذى نقضه هتلر عندما قام بمهاجمة الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٤١ .

إن مسالة التحالفات هى التى تجعل الصراعات الدولية معقدة، فإذا تخيلنا إن العالم مكون من دولتين فقط فسيكون من السهل حل "معضلة الأمن"، التى تحدثنا عنها سالفا، عن طريق احتفاظ كل طرف بقدرات تمكنه من الدفاع عن نفسه، دون أن يكون فى مقدوره الهجوم على الطرف الآخر. ولكن فى حالة وجود دولة ثالثة فإن الموقف يصبح اكثر تعقيدا فالدولة لابد إن تضع فى اعتبارها احتمال أن تتحالف الدولتان الأخريات ضدها، وبالتالى لابد لها من الاحتفاظ بإمكانيات الدفاع عن نفسها فى ظل هذا الاحتمال.

لذلك فان الكابوس المزعج لأى دولة هو أن يتكون تحالف عدائى ضدها. هذا الكابوس أرّق ألمانيا فى القرن العشرين ودفعها إلى التسبب فى الحرب العالمية الأولي. ونفس الكابوس يؤرق إسرائيل التى تقول دائما بأنها لابد أن تضع فى حسبانها احتمال تحالف الدول العربية كلها فى مواجهتها، وبالتالى لابد لها من الاحتفاظ بقدرات عسكرية تمكنها من هزيمتهم مجتمعين، فى حين أن إصرارها على الاحتفاظ بهذه القدرات العسكرية المتفوقة هو الذى يسبب الخوف، وبالتالى العداء، من جانب جيرانها العرب !

إن الدول تدخل التحالفات لكى تزيد رصيد قوتها فى مواجهة الدول الأخرى، وبالتالى تحقق نوعا من التوازن معهم. وهذه السياسة يطلق عليها **"توازن القوى "** .

وكان مبدأ توازن القوى هو احد المبادئ الرئيسية فى عالم الصراع الدولى قبل مرحلة القطب الواحد الراهنة، والهدف منه هو منع دولة ما من السيطرة على الدول الأخرى عن طريق

تكوين حلف مناوئ يوازن قوتها .وهذه السياسة تفرض على الدولة أن تنضم دائما إلى الطرف الأضعف لكى تواجه الطرف الأقوى، والدولة التى تلعب هذا الدور تسمى بالدولة الموازن .وقد كانت بريطانيا هى الدولة الموازن فى أوروبا فى القرن التاسع عشر، وفى ذلك قال رئيس وزرائها ونستون تشرشل " إن بريطانيا اختارت الطريق الأصعب وهو التحالف مع الأضعف، بينما كان هناك دوما خيار التحالف مع الأقوى واقتسام الغنائم". وعندما انتقد البعض تحالف بريطانيا مع الاتحاد السوفييتى الشيوعى فى الحرب الثانية، قال تشرشل " أنه يمكن أن يتحالف مع الشيطان لهزيمة هتلر! "

وهناك الكثير من المفكرين الاستراتيجيين الذين يرون أن "توازن القوى " يعتبر سياسة ناجحة جدا فى الحفاظ على الاستقرار فى النظام الدولى ككل .ومن هؤلاء مثلا هنرى كيسنجر الذى يرى أن هدف رجال الدولة فى كل العصور هو خلق "توازن من الرعب " يردع الآخرين عن العدوان .

وإذا كان توازن القوى يحافظ على الاستقرار، فإنه حتما لا يحافظ على السلام لأن التوازن يتم استعادته دوما من خلال حروب متكررة تخوضها القوى للحفاظ عليه .ففى مطلع القرن التاسع عشر تحالفت بريطانيا مع كل من بروسيا وروسيا والنمسا لهزيمة فرنسا بقيادة نابليون، وفى منتصف نفس هذا القرن تحالفت مع تركيا وفرنسا والنمسا لهزيمة روسيا فى حرب القرم. وفى مطلع القرن العشرين عادت للتحالف مع فرنسا وروسيا لهزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى .

وعلى أى الأحوال، فإن حسابات توازن القوى تتغلب فى أحيان كثيرة على الأيديولوجيات والمشاعر القومية المشتركة. وعلى سبيل المثال، ففى خلال الحرب العراقية الإيرانية كان من المتوقع أن تتحالف الدول العربية جميعها مع العراق فى مواجهة إيران (التى تبنت نظاما إسلاميا شيعيا)، ولكن الرئيس السورى حافظ الأسد رأى أن التهديد العراقى اخطر من التهديد الإيرانى، وبالتالى وقف إلى جانب إيران .

وفى مواجهة مفهوم توازن القوى هناك مفهوم **"الأمن الجماعى "** الذى يعنى أن تتحالف الدول جميعها فى مواجهة أى دولة تبدأ بالعدوان .وقد كان هذا هو المنطق وراء إنشاء عصبة الأمم عام١٩١٩ .ولكن مفهوم الأمن الجماعى يقتضى أن ترى الدول كلها التهديدات لأمنها بنفس الطريقة، لأن الدول تحتاج إلى الاتفاق على تحديد الخطر لكى تتحرك بشكل جماعى لمواجهته. وهذا بالتأكيد أمر صعب .وفشل تجربة عصبة الأمم فى ردع كل من اليابان وإيطاليا فى الثلاثينات أشار بوضوح إلى صعوبة تطبيق مفهوم الأمن الجماعى على ارض الواقع .وقد أشار كيسنجر إلى هذا المعنى ذات مرة عندما قال : " عندما تتفق الدول كلها لا تكون هناك حاجة للأمن الجماعي، وعندما يحدث خلاف بينها فان التحرك المشترك يصبح مستحيلا ".

وربما يكون هذا أيضا هو السبب وراء فشل الأمم المتحدة - وهى أيضا تقوم على فكرة الأمن الجماعى - فى إن تلعب دورا اكثر فاعلية فى منع نشوب الصراعات الدولية .فبالرغم من أن الفصل السابع من ميثاق المنظمة يعطى مجلس الأمن حق فرض عقوبات على الدولة المعتدية تصل إلى حد التدخل العسكري، ألا

إن التحرك فى مجلس الأمن يقتضى موافقة جميع الدول دائمة العضوية فيه، وإذا قامت واحدة من هذه الدول باستخدام حق النقض (الفيتو)، فإنه يصعب معاقبة الدولة المعتدية، ناهيك عما إذا كانت هذه الدولة المعتدية واحدة من الدول دائمة العضوية فى مجلس الأمن، أو دولة حليفة لدولة دائمة العضوية.

إن الفوضى الدولية، ومعضلة الأمن والجغرافية السياسية والاستراتيجية والردع والتصعيد وتوازن القوى والأحلاف . . كلها مفاهيم أساسية فى موضوع الصراع الدولي، وهى تقدم لنا خلفية تساعدنا على فهم الكثير من الصراعات التى تحدث فى العالم ولكنها لا تعطينا اجابة شافية عن سؤال اساسى : لماذا تتصارع الدول مع بعضها البعض؟ . وهذا السؤال سنحاول مناقشته فى الفصل التالي.

الفصل الثالث

لماذا تتصارع الدول ؟

يقول الفيلسوف الرومانى سنيكا انه فيما يتعلق بالحروب والصراعات بين الدول فإن الناس تسأل دوما عن النتائج وليس عن الأسباب .ولكننا نعرف ان معرفة الأسباب وراء الصراعات الدولية يساعدنا على فهمها بصورة اكبر ، والأكثر من ذلك انه يساعدنا على أيجاد حلول وتسويات تمنع وقوعها فى المستقبل.

وكما فى حالة الأفراد، فإن الصراع بين الدول ينبع أساسا من خلاف حول موقف معين يراه الطرفان بصورة مختلفة، تخيل مثلا أن مجرما استوقفك فى الطريق ليلا وطلب منك أن تعطيه حافظة نقودك، وهددك بمسدس فى يده، فى هذه الحالة سوف يكون لديك مجموعة من الخيارات : أما أن تعطيه حافظة النقود وتؤثر السلامة، أو أن تحاول أن تواجهه بإطاحة المسدس من يده مثلا .وبالطبع، هناك دائما خيار الجرى على أساس أن الجبن "سيد الأخلاق "!

أن هذا المجرم يعرف جيدا انك تعطى حياتك قيمة اكبر من حافظة نقودك، بينما يحاول هو أن يوصل إليك الشعور بأنه لا يضيره أن يقتلك إذا آثرت المواجهة، ان كل ما يهمه هو الحصول على حافظة النقود .

وهذا الموقف لا يختلف كثيرا عن المواقف التى تواجهها الدول كل يوم. فحياة الدول عبارة عن صراع متصل من اجل الحفاظ على بقائها والدفاع عن مصالحها القومية. وهى تسخر كل إمكانياتها وقدراتها لكى تخرج من المواقف الصعبة (مثل موقف المجرم وحافظة النقود فى حالة الأفراد) سالمة غانمة .

ولذلك فإن بعض علماء السياسة يقولون بأن الهدف الأساسى للدولة هو تعظيم قوتها ومكانتها باستمرار، لأن هذا يعطيها موقفا تساوميا افضل فى حالات الصراع.

وإذا كان الأفراد يتصارعون حول (حافظة النقود) فإن الدول تتصارع حول مسائل مختلفة وينبغى أن نضع فى اعتبارنا أن الصراع لا يعنى الدخول فى الحرب، فالحرب هى اعلى مظاهر الصراع الدولى (وسنناقش أسبابها وأنواعها فى الفصل التالى). ولكن الصراع يعنى خلافا حول قضية معينة، وهناك وسائل مختلفة لادارة الصراعات الدولية، والوسيلة العسكرية هى أحد أدوات الصراع ولكنها - على أهميتها - ليست الوسيلة الوحيدة .

وبشكل عام يمكن القول بأن الدول تتصارع أساسا حول مصالح مادية (الحدود، الاقتصاد، السيطرة على الحكومة)، أو تخوض الصراعات للدفاع عن قيم غير ملموسة (الدين، العرق، الأيديوسلوجية).

أولا : صراعات المصالح

١ـ الصراع حول الأقاليم :

هذه النوعية من الصراعات تأخذ شكلين أساسيين : صراعات حول ترسيم الحدود (أين يتم ترسيم الحدود)، وصراعات حول السيطرة على دولة كاملة داخل حدود معروفة.

والمعروف ان الدولة تعطى قيمة كبيرة، بدرجة تشبه التقديس، لأرضها .لذلك فإن الصراعات التى تتعلق بنزاعات حدودية تكون من اكثر الموضوعات المستعصية فى الصراع الدولى .

وعلى سبيل المثال، فإن الرئيس السادات كان حريصا خلال مفاوضات كامب ديفيد مع إسرائيل فى عام ١٩٧٨، على أن يكون موقفه التفاوضى مبنيا على عدم إمكانية التفريط فى حبة رمل واحدة من التراب المصري. وقد رفض رفضا قاطعا المساومة على هذا المبدأ، فرفض مثلا أن تحتفظ إسرائيل بالمستوطنات التى قامت ببنائها فى فترة احتلالها لشبه جزيرة سيناء. وحتى بعد جلاء إسرائيل عن سيناء فى عام ١٩٨٢ صممت مصر على استعادة " طابا "، من خلال التحكيم الدولي، على الرغم من أنها قطعة ارض صغيرة قد لا يكون لها أهمية كبيرة فى حد ذاتها من الناحية الاقتصادية أو الاستراتيجية . ولكن أهميتها تنبع من كونها جزءا لا يتجزأ من الإقليم المصرى .

وعندما فقدت فرنسا منطقة "الالزاس واللورين " فى الحرب التى شنتها عليها ألمانيا فى عام ١٨٧١، ظل هدف استعادة هذه

المنطقة على قمة أولويات الأمة الفرنسية الـى ان تمـت استعادتها فى أعقاب الحرب العالمية الأولى بعد هزيمة ألمانيا .

وتاريخيا كان يتم احتلال الأقاليم وتحريرها باستخدام الوسـيلة العسكرية، حيث لا يمكن إزاحة قوات عسكرية مـن علـى الأرض إلا بقوات عسكرية أخرى .

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية ولـد مبدأ أساسـى هـو عـدم جواز تغيير الحدود الدولية باستخدام القـوة، وصـار قيـام أى دولـة بعمل عسكرى لتغيير حدود دولية قائمة يعتـبر عمـلا خطـيرا جدا فى السياسة الدولية.

وكان هذا المبدأ سببا أساسـيا فـى قيـام التحـالف الدولـى بقيـادة الولايات المتحدة بـالوقوف فـى وجـه محاولـة صـدام حسـين ضـم الكويت إلى العراق فى عام ١٩٩٠. فقد كانت الرسالة واضحـة : لا يجوز تغيير الحدود بالقوة حتى بعد انتهاء الحرب الباردة .

وربما نندهش اذا عرفنـا ان قيـام دولـة بالمسـاهمة فـى تغيـير حكومـة فـى دولـة اخـرى - ولـو بطريـق القـوة - يمكـن التسـامح والتغاضى عنه مـن جـانب المجتمـع الدولـى لأنـه فـى هـذه الحالـة تكون سيادة الدولة قد انتـهكت، ولكن تكاملـها الإقليمـى لـم يمـس حيث لـم تتغير حدودهـا. أى ان الحكومـات تذهـب وتجـيء، امـا الدول نفسها فتظل باقية .

وهنـاك نوعيـة أخـرى مـن النزاعـات الحدوديـة تسـمى بــ "**حروب الانفصال**"، وحروب الانفصـال لا تعتـبر حروبـا دوليـة لأنها حروب تتم داخل دولة واحدة، حيث يحاول قسـم مـن سـكان

هذه الدولـة الاسـتقلال وإعـادة ترسـيم الحـدود حـول إقليـم يصبـح دولـة جديدة .

والمجتمـع الدولـى يعتـبر هـذه النوعيـة مـن الصراعـات شـأنا داخليا، فالأعراف الدولية ـ بشـكل عـام ـ لا توافـق علـى انفصـال الأقاليم عن الـدول . وعلـى سبيل المثـال، فعندمـا خـاض شـعب الشيشان منذ منتصف التسـعينات حربـا للاستقلال عـن روسـيا، اعترضت الحكومـات الغربيـة علـى انتـهاكات القـوات الروسـية لحقوق الانسان فى حربـها ضـد مقـاتلى الشيشـان ولكنـها لـم تكـن معترضـة علـى المبدا نفسـه : مبـدأ اسـتخدام القـوة فـى مواجهـة محاولـة الانفصـال.

وقد كان شائعا فى فـترة مـن الفـترات أن يتـم نقـل ملكيـة اقليـم كامل بجرة قلم، ولكن هذا السلوك لم يعد مقبولا منذ خمسـين عامـا على الأقل. وقد حدثت محـاولات لتغيير الحدود بالقوة ولكن اغلبها باء بالفشل. وعلـى سبيل المثـال، فقـد اسـتمرت الحـرب العراقيـة الايرانية لأكثر من ثمانى سـنوات، وراح ضحيتـها مـا يقـرب مـن المليون قتيل من اجل بقعة صغيرة على الحدود بين البلديـن ، هـى "شط العرب "، ادعى العراق أنها تخصـه . وانتـهت الحـرب دون أن تتغير الحدود.

واليوم، تحاول غالبية الدول أن تحل هذا النوع مـن الخلافـات الحدودية سلميا عن طريق "**التحكيم**" الدولي. وعلى سـبيل المثـال فقد ذهبت كل من سلفادور وهندوراسس إلى محكمة العدل الدوليـة لحل خلافات حدودية بينهما فى التسعينات . وكذلك فعلت كـل مـن الارجنتيـن وشـيلى اللتيـن كادتـا أن تذهبـا للحـرب بسـبب نـزاع

حدودى فى عام ١٩٧٨، ثم قبلتا ـ فى التسعينات ـ بتحكيم هيئة من المحكمين من أمريكا اللاتينية قامت بإعطاء الأرض للأرجنتين .

والحقيقة أن اغلب الحدود الدولية اليوم متفق عليها ولا تثير أى نزاعات بين الدول، ولكن هذا لا يمنع أن الصراعات التى ما زالت قائمة حول الحدود ما زالت تشكل مصدرا أساسيا للصراع الدولى .

ومن الحدود التى ما زال متنازعا عليها إلى اليوم حدود دولة اسرائيل .وهذه الحدود كانت فى البداية عبارة عن حدود خط وقف اطلاق النار الذى اتفق عليه فى أعقاب حرب ١٩٤٨. ثم اتسعت هذه الحدود فى أعقاب حرب ١٩٦٧ باحتلال اسرائيل لشبه جزيرة سيناء فى مصر، والجولان فى سوريا والضفة الغربية وغزة . وعادت حدود اسرائيل لتتقلص ثانية بعد استعادة مصر لشبه جزيرة سيناء نتيجة لحرب ١٩٧٣ وبمقتضى اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٨. وفى عام ١٩٨٢ قامت اسرائيل بغزو لبنان وبقى جنوبه محتلا إلى إن جلت عنه القوات الاسرائيلية فى عام ٢٠٠٠.

واليوم تعد مسألة الحدود من المسائل الأساسية فى الصراع العربى الاسرائيلي، فمازال الجولان السورى محتلا، والمفاوضات السورية الاسرائيلية لم تحرز أى تقدم حتى الآن. وقد سعى الاتفاق الفلسطينى الاسرائيلى (فى اوسلو ١٩٩٣) إلى ايجاد حل للقضية بإقامة "**حكم ذاتى** " فلسطينى فى غزة وأجزاء من الضفة الغربية، ولكن هذه الاتفاقات لم تسفر عن شيء حتى الآن.

من النزاعات الحدودية الأخرى فى العالم المعاصر : النزاع فى منطقة كشمير حيث تتقاطع حدود كل من الصين والهند وباكستان، فى الجمهوريات السوفيتية المستقلة هناك نزاع (ناجورنو كاراباخ) وهى منطقة تسكنها اغلبية ارمنية داخل حدود اذربيجان .وهناك بعض الخلافات بين اوكرانيا وروسيا حول منطقة شبه جزيرة القرم التى كان الرئيس السوفيتى " نيكيتا خوروشوف " قد اعطى جزءا منها لأوكرانيا كهدية عيد ميلاد فى الخمسينات عندما كانت كل من اوكرانيا وروسيا جزءا من الاتحاد السوفيتى السابق!

أما غالبية النزاعات الحدودية الأخرى فى العالم فهى نزاعات حول جزر لها اهميتها الاستراتيجية او تحتوى على موارد معدنية (مثل البترول)، أو تعطى حقوقا بالنسبة لصيد الأسماك.

ولكى نفهم مسألة الصراع حول الجزر لابد أن نضع فى اعتبارنا إن المياه التى تقع على بعد ثلاثة أميال من الشاطئ تعتبر تقليديا من المياه الاقليمية للدولة. فى حين تسمح اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار بــ١٢ ميلا لإبحار، و٢٠٠ ميل تعتبر ما يطلق عليه "**منطقة اقتصادية استثنائية** " تشمل الصيد والحقوق التعدينية. والمناطق الاقتصادية الاستثنائية تغطى مجتمعة نحو ثلث المحيطات، ولهذا السبب فإن السيطرة على جزيرة صغيرة يمكن أن تتيح للدولة السيطرة على ١٠٠ الف ميل مربع من المياه التى تحيط بالجزيرة فى هذا المحيط.

ومن اخطر الصراعات التى تدور حول السيطرة على جزر فى الوقت الحالى هو محاولة الصين السيطرة على جزر "سبارتلى " فى بحر الصين الجنوبي، وهذه الجزر

اقرب لكل من فيتنام وماليزيا وبروناى و الفلبين منها للصين. والخمس دول تدعى احقيتها فى السيطرة على هذه الجزر، إذ أن المياه المحيطة بها يحتمل احتواؤها على مصادر بترولية ذات أهمية.

وقد حدثت معركة بحرية محدودة بين الصين وفيتنام بسبب الخلاف حول جزر "سبارتلي" فى عام ١٩٨٨، وفى عام ١٩٩٢ اتفقت الدول على حل هذه المسالة بصورة سلمية.

ويعد الخلاف حول جزر "كوريبل " من اكثر المواضيع حساسية فى العلاقات الروسية اليابانية، وكان الاتحاد السوفيتي قد قام باحتلال هذه الجزر فى عام ١٩٤٥.

وفى الشرق الأوسط هناك نزاعات حدودية كثيرة منها النزاع الحدودى بين اليمن والسعودية حول منطقة "عسير" التى خاضت البلدان حربا من اجلها فى عام ١٩٣٤، وقد تم الاتفاق أخيرا على حل هذا النزاع وديا، وهناك كذلك النزاع الحدودى بين قطر والبحرين وقد تقدمتا به إلى محكمة العدل الدولية. ولكن اخطر هذه النزاعات على الاطلاق هو الخلاف بين دولة الامارات العربية المتحدة وايران حول مجموعة جزر "طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسي" التى تحتل موقعا استراتيجيا فى مدخل الخليج العربي. وايران تحتل هذه الجزر فعليا فى حين تدعى الامارات أنها - تاريخيا - تعد جزءا من اقليمها.

٢ـ السيطرة على الحكومات :

معظم الصراعات الدولية فى العالم المعاصر لا تدور بسبب الحدود، وانما من اجل السيطرة على الحكومات التى تحكم الدول.ونظريا، لا يحق لدولة التدخل فى المسائل التى تتعلق بالحكم فى دولة أخرى، اذ أن هذا يعتبر شأنا داخليا. ولكن من وجهة عملية، فإن الدول تهتم بما يجرى فى الدول الأخرى، حيث تكون لها غالبا مصالح تجعلها تتدخل فى مسائل الحكم بدرجات متفاوتة تبدأ بمحاولة التأثير على نتائج الانتخابات وتنتهى بمحاولة اسقاط الحكومة باستخدام القوة. وعلى سبيل المثال فقانون " تحرير العراق " الذى وافق عليه الكونجرس الأمريكى فى فترة ولاية الرئيس بيل كلينتون يدعو صراحة إلى اسقاط نظام صدام حسين، ويشير إلى التعاون مع فصائل من المعارضة العراقية لتحقيق هذا الغرض.

وفى خلال الحرب الباردة سعت القوتان العظميان إلى تغيير الحكومات فى دول العالم الثالث للاتيان بأنظمة موالية لها، وقد كانت تفعل ذلك عن طريق مساندة المتمردين او عن طريق القيام بعمليات سرية . والحروب التى دارت فى اماكن كثيرة من العالم الثالث (مثل انجولا ونيكارجوا) تدخل فى هذا الباب.

وقد تقوم دولة بغزو دولة أخرى لكى تقوم بتغيير حكوماتها، كما فعل الاتحاد السوفيتى فى تشيكوسلوفاكيا فى عام ١٩٦٨، وكما فعلت الولايات المتحدة فى جيرانادا فى عام ١٩٨٣ .

والحكومات التى تقوم بتنصيبها قوة اجنبية ينظر اليها فى الغالب ـ فى الداخل والخارج ـ على أنها ناقصة الشرعية،

وتوصف دوما بانها حكومات " عميلة "، وعلى سبيل المثال فإن حكومة افغانستان التى قام السوفييت بتصيبها بعد غزوهم لهذا البلد، لم تحظ يوما بالشرعية وسقطت بعد ١٢ عاما من الحرب المتصلة.

إن الصراعات الدولية التى تدور حول الحدود او السيطرة على الحكومات غالبا ما تقود إلى استخدام العنف، اذ أنها تتعلق بمسائل اساسية مثل سيادة الدولة وتكاملها الاقليمي. فى حين أن هناك انواعا أخرى من الصراعات حول المصالح التى قلما تقود إلى استخدام العنف، ومن هذا النوع الصراع الاقتصادى .

٣- الصراع الاقتصادي:

إن الصراع الاقتصادى هو اشمل صور الصراع الدولى فى العالم اليوم الذى تحول إلى سوق رأسمالية بالغة الاتساع يتم فيها تبادل ملايين من السلع والخدمات والأموال عبر الحدود . وتعقد فيها الصفقات فى كل ثانية تقريبا.

وفى سوق كهذه من الطبيعى أن تحدث خلافات كثيرة بين الدول التى تسعى إلى تعظيم مصالحها. مثلا : كوستاريكا التى تصدر البن تريد أن ترفع سعر البن العالمي، فى حين تسعى كندا التى تستورده إلى خفضه . وتسعى منظمة "الأوبك" إلى تضم الدول المصدرة للبترول إلى ضمان سعر مناسب له، فى حين تسعى الدول المستوردة إلى الحفاظ على هذا السعر منخفضا قدر الإمكان .. وهكذا.

والصراع الاقتصادى لا يقود ـ فى اغلب الأحوال ـ إلى استخدام العنف .وذلك لسبب بسيط هو انه يحمل دائما منفعة متبادلة يحد منها استخدام العنف. وعلى سبيل المثال فإن الولايات

المتحدة قد تقوم بإغراق السفن اليابانية التى تحمل صادراتها من السيارات إلى الأسواق الأمريكية، وقد تجد الولايات المتحدة فى هذا فائدة اكيدة لصناعة السيارات الأمريكية على المدى القصير. ولكن هذا الإجراء من شأنه عرقلة العلاقات التجارية بين امريكا واليابان، وهى علاقات مفيدة على المدى الطويل.

وعبر التاريخ لم يكن الحال هكذا دائما، ففى القرن السابع عشر كان السبب الرئيسى وراء الحرب الانجليزية الهولندية هو رغبة بريطانيا فى سحب البساط من تحت التجارة الهولندية. أما اليوم، فقلما يقود صراع اقتصادى إلى استخدام العنف. لأن الوسائل العسكرية غير مؤثرة بخصوص أى صراع اقتصادي، خصوصا وأنها مكلفة بالمقارنة بأى مكسب محتمل.

وقد كان رأى الزعيم السوفيتى " لينين " إن كل الصراعات فى العالم تعود إلى اسباب اقتصادية تتعلق بالصراع بين الطبقات. وهذا هو المدخل الماركسى فى تفسير الصراع الدولي. وقد اشار " لينين " ذات مرة إلى أن الحرب العالمية الأولى هى صراع على تقسيم العالم بين القوى الإمبريالية، وأن التنافس بين الدول الرأسمالية حول المستعمرات سيقودها حتما إلى الصراع وتدمير بعضها البعض. ويشير البعض إلى خطأ هذه النظرة فى فهم الصراعات الدولية، فاذا كان هذا التفسير سليما فلماذا لم تقم الحرب العالمية الأولى بين فرنسا وانجلترا اللتين كانتا تتنافسان بشدة فيما بينهما على المستعمرات ؟. وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى لم يكن رجال البنوك - فى جميع الدول المتحاربة - متحمسين لها لأنها تعرقل نشاطهم. وقد كان وزير الخارجية البريطانى " سير ادوارد جراى " قلقا من عدم استجابة رجال البنوك الانجليز لإعلان الحرب على ألمانيا.

ويشير بعض المحللين الاقتصاديين إلى أن الحرب تصير اكثر احتمالا عندما تتبع الدول سياسات تجارية عدائية تقوم على الانغلاق، وبناء اسوار الحماية حول اقتصادها الوطني، فهذه السياسات تشعل المنافسة التجارية وتخلق جوا من العداء المتبادل قد يتحول إلى عنف مسلح فى أية لحظة. ويشير البعض إلى إن اتباع مثل هذه السياسات فى فترة الثلاثينات كان من الأسباب التى أدت إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية. واليوم، يقوم منطق "**منظمة التجارة العالمية** "، التى انشئت فى عام ١٩٩٥، على أن التجارة الحرة بين الدول، ورفع الحواجز الجمركية يؤدى إلى جعل العالم أكثر أمنا لأنه يؤدى إلى مزيد من تبادل السلع والخدمات بما يربط مصالح الناس والدول بعضها ببعض، بحيث يصبح استخدام العنف مكلفا جدا. وتتبنى المنظمة "آلية لفض المنازعات" تحيل الدول الأعضاء خلافاتها التجارية إليها لحلها عن طريق التفاوض والتحكيم.

ثانيا: صراع القيم

إن كل الصراعات التى تناولناها فى الجزء السابق تدور حول مسائل ملموسة (ارض، حكومة، مصالح اقتصادية) وبالتالى يمكن حلها، ولكن الأصعب هو تلك الصرعات التى لا تدور حول مسائل مادية وانما يلعب فيها الحماس الدينى والكراهية العرقية والأيديولوجية دورا أساسيا.

١. الصراع العرقي:

الصراع العرقى هو الصورة الغالبة على خريطة الصراعات الدولية فى عالم اليوم، والجماعة العرقية هى جماعة كبيرة من

الناس تشترك فى روابط تاريخية(يعود اصلهم إلى عرق واحد(وثقافية ولغويــة، إضافـة إلــى تمـيز هـذه الجماعـة بهويـة يعرفـون انفسهم بالانتماء اليها.

وبالرغم من أن الصراع العرقى يكـون لـه دائمـا جـانب مـادى (صراع على حدود او على السيطرة علــى الحكومــة)، فإنـه ينبـع فى الأساس من الكراهية التى تكنها جماعة عرقية لجماعة عرقيـة أخرى .انه صراع لا يعتمد على "ما" يفعله الشخص ، ولكن علــى " من " يكون .

والجماعة العرقية تشكل أساسا لشعور بالحاجة إلى دولـــة- أمـة تجمعها، أى أنها تشـكل أساسـا لشـعور قومـي. ولكـن، ليسـت كـل الجماعـات العرقيـة تعـرف نفسـها علــى أنـــها امــم قوميــة، ففــى الولايات المتحدة يتعايش - وان كان ذلك جاء عبر تطـور تـاريخى بطيء وحتــى اليوم فإنـه يتـم بصعوبـة - كـل مـن البيـض والسـود والآسـيويين والهسبانك تحـت لـواء الأمـــة الأمريكيـة ويعرفـون أنفسهم على انهم أمريكيون.

ولكن فى أماكن أخرى من العالم تسعى الكثـير مـن الجماعـات العرقيـة إلــى أن يكـون لـها دولـة مسـتقلة .والحـدود الدوليـة قـد لا تتقاطع بالضرورة مـع المنـاطق التـى تقطنـها الجماعـات العرقيـة المختلفة، كما هو الحال فــى أفريقيـا التـى يقـال دائمـا إن حدودهـا مصطنعة لأن الاستعمار الأوروبى فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين هو الذى قام برسم هذه الحدود.

وفى الغالب نجد أنفسنا أمام الموقف الخطير التـالى: جـزء مـن الجماعة العرقية يعيش فــى دولـة، وجـزء منـها يعيـش كأقليـة فــى

منطقة مجاورة تقع فى دولة أخرى تسيطر عليها جماعة عرقية مناوئة. ما خطورة هذا الموقف؟. خطورته تنبع من الأقليات تتعرض غالبا للتمييز والاضطهاد مما يدعو الدولة "الأم" التى تقطنها الجماعة العرقية الأصلية إلى الهبوب لنجدة اخوانهم فى الدولة الأخرى، والتدخل لإنقاذهم والدفاع عنهم والانتقام لهم. وعلى سبيل المثال فإن البانيا تشعر بالقلق تجاه مصير الألبان الذين يمثلون أغلبية فى اقليم كوسفو الذى يسيطر عليه الصرب. وحين تعرض الألبان لمذابح بشعة على يد الصرب تدخل "حلف الناتو" لإنقاذهم فى عام ١٩٩٩، ولكن الولايات المتحدة والدول الأوروبية لم تشأ أن تعطى اقليم كوسفو استقلالا كاملا. لماذا؟ لأن هذا سوف يخلق مشكلة أخرى تتعلق بالصرب الذين سيصبحون اقلية فى هذا الإقليم.

وقد شهدت سنوات التسعينات انفجارا للعنف العرقى فى مناطق كثيرة من العالم .وبلغت حدة الصراعات العرقية درجة لا مثيل لها من حيث عدد الضحايا ومدى الوحشية. وعلى سبيل المثال ففى عام ١٩٩٤ قامت الهوتو (وهى جماعة عرقية تشكل اغلبية وتسيطر على الحكومة فى رواندا) بذبح نحو نصف مليون من التوتسى (جماعة عرقية أخرى تشكل الأقلية، ولكنها كانت تتمتع بامتيازات كبيرة من أيام الاستعمار البلجيكى لرواندا) فى أسبوع واحد على مرأى ومسمع من العالم كله الذى لم يحرك ساكنا، بالرغم من أن الكثير من المعلقين رأوا أن تدخلا دوليا بسيطا فى وقته كان يمكن أن يحول دون حدوث هذه المذبحة البشعة.

وفى مواجهة المذابح البشعة التى ترتكبها الجماعات العرقية فى حق بعضها البعض، حاول العالم أن يطور مبدأ جديدا سمى بمبدأ "**التدخل الإنسانى** " وهو مبدأ يدعو إلى جواز التدخل - من جانب المجتمع الدولى - بالقوة العسكرية لإنقاذ أناس يتعرضون لإبادة جماعية وتطهير عرقي. وقد شهد عام ١٩٩٩ اول تطبيق لهذا المبدأ بالحرب الجوية التى شنها الناتو على صربيا فى أعقاب المذابح التى تعرض لها الألبان المسلمون على يد الصرب. وفى أواخر عام ١٩٩٩ كان هناك تدخل آخر - من جانب الأمم المتحدة هذه المرة - لإنقاذ إقليم تيمور الشرقية الذى يسعى إلى الانفصال عن إندونيسيا من الانتهاكات التى كان يرتكبها الجيش الإندونيسى فى حق أهالى هذا الإقليم.

ويقول الخبراء فى الاجتماع السياسى انه على الرغم من أن الصراع العرقى يعود فى الغالب إلى خلفية تاريخية من الصراع حول إقليم معين او موارد طبيعية، فإنه يتطور ليصير له منطقه الخاص بعيدا عن الأسباب التى أدت إليه، فهذه الأسباب تتوارى لتحل محلها الكراهية العرقية التى تصبح الوقود الذى يؤدى إلى استمرار الصراع. وتتميز هذه الكراهية العرقية بنزعة إلى التعصب الشديد ضد الآخرين، واضطهادهم ونزع الصفات الإنسانية عنهم، فيشار إليهم بصفات الحيوانات: كلاب. خنازير .. الخ . وعلى سبيل المثال فإن الدعاية الأمريكية فى أيام الحرب العالمية الثانية كانت تصف اليابانيين بالقرود.

وتشير تجربة أوروبا الغربية إلى إمكانية تجاوز الكراهية بين الأعراق والقوميات المختلفة التى تحمل عداء لبعضها البعض، مثل الفرنسيين والألمان، عن طريق التربية طويلة المدي. وقد

تبنت أوروبا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مشروعا لإعادة صياغة الكتب المدرسية بحيث تحذف منها الأجزاء التى تحض على كراهية الأعراق الأخرى واحتقار تاريخها ومنجزاتها الحضارية، وقد نجح هذا المشروع ومهد لقيام الوحدة الأوروبية بعد ذلك بعقود.

٢ـ الصراع الديني:

لا شك أن الدين هو أساس منظومة القيم فى أى مجتمع، فهو يشتمل على مبادئ أساسية تحدد ما يعتبر حلالا أو حراما، وحقا او خطأ، وخيرا أو شرا. وهذه المبادئ تعتبر حقائق مطلقة غير قابلة للمناقشة أو المساومة. وبالتالى فإن الاختلافات الدينية تقود فى أحيان كثيرة إلى استخدام العنف، وتجعل النزاعات القائمة صعبة الحل.

وغنى عن البيان القول بأنه ليس هناك عيب فى الدين ـ أى دين ـ يستدعى الصراع، بدليل أن هناك اناسا من ديانات مختلفة يعيشون مع بعضهم البعض فى سلام فى مناطق كثيرة من العالم.

وفى السنوات الأخيرة انتشرت الحركات الأصولية فى العالم، ويدعو أعضاء هذه الحركات إلى تحكيم المبادئ الدينية فى مختلف اوجه الحياة، وينظمون أنفسهم للدعوة إلى هذه المبادئ، ويكونون على استعداد للتضحية بأرواحهم فى سبيل نصرتها.

وهذه الحركات الأصولية (وهى موجودة فى الإسلام والمسيحية واليهودية والهندوسية) تتحدى قيم وممارسات المؤسسات السياسية العلمانية التى تقوم على الفصل بين الدين

والدولة، وتسعى ـ بدلا من ذلك ـ إلى تطبيق منظومة القيم الدينية فى الشئون السياسية.

ومن الممارسات العلمانية التى تتحداها الحركات الأصولية قواعد النظام الدولي .فوفقا لهذه القواعد يتم التعامل مع الدول باعتبارها متساوية بصرف النظر عما إذا كانت هذه الدول دولا "مؤمنة" او " كافرة ". ولكن الدين، كمنظومة للقيم، لا يعبأ بالحدود السياسية، ويعتبر ـ فى عين المتشددين من المؤمنين به ـ قانونا يفوق القانون الدولى والمعاهدات الدولية.

وعلى سبيل المثال، فقد قام الحرس الثورى الإيرانى ـ بعد الثورة التى أطاحت بالشاه فى عام ١٩٧٩ ـ بمساعدة الحركات الأصولية فى الجزائر ومصر والأردن ولبنان.

أما فى اسرائيل فإن المتطرفين اليهود يقومون ببناء مستوطنات فى الأراضى التى تحتلها اسرائيل ويعلنون عن نيتهم عدم الانسحاب من هذه المستوطنات حتى ولو قامت حكومتهم بذلك .وحتى فى الولايات المتحدة نفسها يسعى الأصوليون المسيحيون إلى محاولة اقناع حكوماتهم بالانسحاب من تمويل صندوق السكان التابع للأمم المتحدة باعتبار أن هذا الصندوق يشجع أنشطة معادية للدين. وهذه كلها صور لتدخل الدين فى صراعات سياسية تعبر الحدود القومية، وتقود إلى نزاعات دولية.

وفى سنوات التسعينات أشار عالم السياسة الأمريكى الشهير صامويل هنتيجتون إلى أن الصراع القادم بعد انتهاء الحرب الباردة سوف يكون صراعا بين الحضارات، ودلل على ذلك بأن المناطق التى تقع على "خطوط التقسيم" بين الحضارات المختلفة

تعانى دوما من صراعات واضطرابات. وأشار كذلك إلى أن الصراعات المعاصرة فى فترة التسعينات صارت تحمل إبعادا دينية وحضارية واضحة مثل صراعات البلقان التى اندلعت فى أعقاب انهيار يوجوسلافيا بين الصرب (مسيحيين ارثوذكس) والكروات(مسيحيين كاثوليك) والمسلمين .

وأشار هنتيجتون وغيره إلى أن هناك احتمالا كبيرا لأن يكون الصراع القادم صراعا بين الإسلام والغرب. وتحولت الأنظار إلى المنطقة الشاسعة التى يغطيها العالم الإسلامى من نيجيريا إلى أندونيسيا، باعتبارها مصدر الخطر الأساسى على النظام العالمى حيث ينظر الكثيرون إلى النزاعات التى تدور رحاها على حواف العالم الإسلامي باعتبارها خطرا توسعيا ينبغى التصدى له. بينما يشعر المسلمون بأنهم محاصرون بأعداء من جميع الجهات، وقد أعطت المذابح التى وقعت أخيرا فى الشيشان والبوسنة والهرسك وكوسفو ما يؤيد هذا الزعم فى نظر المسلمين.

٣ـ الصراع الأيديولوجي:

الأيديولوجية تتشابه مع الدين فى أنها تتسبب فى تعقيد النزاعات ومفاقمتها ولكن لا تخلقها . وتتشابه معه أيضا فى أنها تشكل منظومة للقيم، ولكنها لا تدخل فى كل تفاصيل الحياة.

وبالنسبة إلى الذين ينظرون إلى مسائل الصراع الدولى نظرة واقعية فإن الأيديولوجية لا تهم كثيرا فالصراع بين الدول هو صراع حول المصالح، وكل دولة تسعى إلى تحقيق مصالحها بصرف النظر عن الأيديولوجية، وصراع الحرب الباردة كان منفصلا عن الأيديولوجية فقد كان صراعا على القوة أكثر من أى

شيء آخر، حيث كانت الدول تغير استراتيجيتها وأهدافها لكى تحقق مصالحها. وكما قلنا من قبل فإن الاتحاد السوفيتى عقد حلفا مع هتلر ثم مع الحلفاء، وكذلك فإن الصين والاتحاد السوفيتى - اللتان تجمعهما الأيديولوجية الشيوعية - لم تبقيا حليفتين لفترة طويلة. والصين، التى كانت تنوى القيام بثورة تحرر العالم الثالث من ربقة الإمبريالية العالمية، استقبلت الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون، رمز هذه الإمبريالية، لكى تتفق مع الولايات المتحدة على مصالح مشتركة.

وقد رأى جورج كينان - الذى عمل سفيرا للولايات المتحدة فى الاتحاد السوفيتى فى بداية أيام الحرب الباردة - إن السياسة الخارجية لا يمكن صياغتها على أساس أيديولوجي، وكان رأيه أن الهدف الرئيسى الذى يجب على الولايات المتحدة اتباعه هو "**احتواء** " الاتحاد السوفيتى وليس الأيديولوجية الشيوعية فهذا الاحتواء هو الذى يمكن أن يقود بالتدريج إلى انفجاره من الداخل.

والكثير من المحللين الأمريكيين يقولون بأن اتباع مثل هذه السياسة الواقعية المتحررة من التحيز الأيديولوجى كان من الممكن أن تجنب الولايات المتحدة التورط فى صراعات مكلفة مثل الحرب فى فيتنام.

والحقيقة أن الثورات التى تبشر بأيديولوجيات جديدة تعمل على زعزعة العلاقات بين الدول، وتزيد من احتمالات وقوع صراعات دولية على المدى القصير، إذ أنها تغير ميزان القوى وتغير التحالفات وتفتح مجالا واسعا للخطأ فى الحساب والتقدير.

ولكن بمرور الوقت تفقد الدول الثورية حماسها، وتتحول إلى دول "عادية" تسعى إلى تحقيق مصالحها القومية بنفس الطرق المتعارف عليها فى عالم الصراع الدولي .وقد كان " تروتسكى " اول وزير خارجية للاتحاد السوفيتى يقول بأنه سوف يطلق مجموعة من النداءات لعمال العالم، ثم يتوقف عن العمل لأنه لن يكون هناك ما يفعله، فالثورة الشيوعية ستجتاح العالم كله !

وما ينطبق على الثورة الشيوعية ينطبق على الثورة الإسلامية فى إيران التى أعلنت فى بدايتها أنها تهدف إلى "تصدير الثورة " الإسلامية إلى العالم كله، ولكن بعد مرور ما يزيد على العشرين عاما على الثورة خفتت هذه الحماسة، وتحولت إيران إلى دولة " عادية " تلعب ـ تقريبا ـ بنفس القواعد التى تعارفت الدول عليها.

وحتى فى خلال الحرب الباردة، التى تميزت بكونها فترة صراع أيديولوجى عنيف بين الرأسمالية والشيوعية، كان رأى بعض المحللين الأذكياء أن الكثير من الصراعات التى دارت رحاها فى هذه الفترة وأخذت صبغة أيديولوجية، لا علاقة لها بالأيديولوجية من قريب أو بعيد.

وعلى سبيل المثال، فقد قامت الولايات المتحدة فى الثمانينات بمساندة حركة "يونيتا" المعارضة للحكومة اليسارية فى أنجولا. وقد يبدو لأول وهلة أن الحرب الأهلية التى دارت فى هذه البلد تتعلق بالأيديولوجية، ولكن الحقيقة أن الحكومة كانت تتمسك بالخطاب الاشتراكى لكى تتلقى دعما من المتمردين الذين أعلنوا ـ بدورهم ـ عن تمسكهم بالمبادئ الديمقراطية لكى يحصلوا على الدعم الأمريكى. واذا تغيرت الظروف فقامت الحكومة بالاستعانة

بالأمريكيين، فـلا شـك إن " يونيتـا" ـ التـى كـانت تتلقـى مـن قبـل دعما من الصـين ـ سوف تلجأ إلى الاتحاد السوفيتى !

وهناك تأثير آخر هام للأيديولوجية على الصراع الدولي، فهى قد تستخدم فى حشـد الجمـاهير وراء هـدف معيـن. وهـذا مـا فعلـه هتلر عندما تبنى حزبـه ـ الحـزب النـازى ـ الأيديولوجيـة الفاشـية، وسعى إلى الهاب حمـاس الجمـاهير ودفعـهم إلـى دخـول الحـرب العالمية الثانية .وقد أشار " بريجنسكى " ـ مستشـار الأمـن القومـى الأمريكى السابق ـ ذات مرة إلى إن اغلب ضحايا القـرن المـاضى راحوا بسبب الحماس الأعمى لما اسماه بـ" ما وراء الأسطورة " أى الاقتنـاع المطلق بالأيديولوجيات التـى سـاقت النـاس إلـى ابشـع مصير.

وإذا اعتبرنا أن الديمقراطية أيديولوجية، فهى استثنـاء عن هـذه القاعدة. فالمبادئ الديمقراطية صـارت تظـهر الآن وكأنـها مبـادئ دولية يجـب علـى الجميـع احترامـها. وإذا استمرت موجـة تحـول مزيد من الدول إلى الديمقراطية فـإن هـذا سـوف يقـود ـ فـى نظـر البعض ـ إلى مزيد من الصراعات بين الدول الديمقراطية والـدول غير الديمقراطية.

الفصل الرابع

الحـــــــروب :
أســـبابها وأنواعـــها

في الفصل السابق تناولنا الأسباب التي تؤدي بالدول إلى الدخول في صراعات مع بعضها البعض. وأشرنا إلى إن أغلب الصراعات الدولية تدار بدون استخدام العنف.

ولكن اخطر الصراعات على الإطلاق هي تلك التي تستخدم الوسائل العسكرية في حسمها، وفي هذه الحالة فإن الصراع يتحول إلى حرب.

والحقيقة أن الدول اليوم - بشكل عام - لا تواجه الحروب كثيرا، وانما تواجه ما يعرف بـ " **الأزمات الدولية**". والأزمة الدولية هي موقف من مواقف الصراع الدولي يكون على رجال الدولة أن يتخذوا فيه قرارا هاما ومصيريا في ظل هامش ضيق من الوقت.

وفي ظل الأزمة يقع رجال الدولة غالبا تحت وطأة ضغوط هائلة: الوقت ضيق، والقرار صعب ، والأعصاب مشدودة. . الخ.

وتحتاج الأزمات الدولية إلى حنكة هائلة للتعامل معها، فهي تتطلب من صانعي القرار أن يضعوا كل المعلومات والخيارات أمام متخذ القرار، بدون تشويه او تحيز. وهناك مشاكل معروفة تواجه القادة في وقت الأزمات منها مثلا أن تكون المعلومات متأثرة بالنسق العقائدي، ومنها المبالغة في احتمال وقوع أمر يرغب في حدوثه، والتقليل من احتمال وقوع حدث غير مرغوب في وقوعه.

وعلى سبيل المثال، فعندما اتخذ الرئيس جمال عبد الناصر قراره بتأميم شركة قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦، كان يستبعد احتمال تدخل بريطانيا وفرنسا عسكريا، وعندما أثار أحد الوزراء المصريين احتمال استخدام بريطانيا لإسرائيل فى شن غارة على مصر كان جواب ناصر إن ذلك صعب، لأن من شأنه القضاء على مركز بريطانيا فى الشرق الأوسط. وقد سئل كذلك عن احتمال تدخل الجيش الفرنسي، كان جوابه أن الفرنسيين منشغلون تماما فى الجزائر ويحتاجون إلى شهرين على الأقل لإعداد الغزو.

وبالرغم من أن الرئيس عبد الناصر اتخذ قرار التأميم بشكل فردى (وهذه من اخطر الطرق فى إدارة الأزمات الدولية) فإن بعض وزرائه حاولوا تنبيهه - بعد إعلانه التأميم - إلى العواقب الخطيرة التى يحملها قرار مثل هذا، ومن هؤلاء سيد مرعى الذى قال : "يا سيادة الرئيس، إن القرار الذى اتخذته هو حلم كل مصري، ولكن هذا القرار معناه فى نفس الوقت أننا سندخل فى حرب مباشرة مع بريطانيا وفرنسا والغرب كله ".

ومن النماذج التى يستخدمها المحللون كثيرا للإشارة إلى تعقيد المواقف فى وقت الأزمات، والى الدور الذى يلعبه متخذو القرار فى تجنب وصول الأزمة إلى حافة الهاوية، نموذج **"أزمة الصواريخ الكوبية"** فى ١٩٦٢، حيث قام الاتحاد السوفيتى بوضع صواريخ فى كوبا قادرة على تهديد مدن الولايات المتحدة بضربة نووية .وكان الزعيم السوفيتي نيكيتا خوروتشوف قد اتخذ هذا القرار الخطير دون استشارة اغلب معاونيه.

وعند معرفة الرئيس الأمريكى كيندى بهذا الإجراء السوفيتي، قرر عقد مشاورات موسعة مع مستشاريه استمرت لعدة أيام،

لاتخاذ القرار المناسب فى هذا الموقف الخطير الذى يقول الكثيرون إن العالم كان اقرب ما يكون فيه إلى الحرب النووية.

وفى البداية كان رأى المستشارين أن الحل الوحيد هو القيام بضربة جوية لإزالة الصواريخ التى وضعها الاتحاد السوفيتى فى كوبا .ولكن كيندى كان يعرف فى نفس الوقت أن الإقدام على مثل هذه الخطوة قد يقود إلى حرب نووية شاملة يروح ضحيتها الملايين من الأرواح. كما كان مدركا أن عدم القيام بأى إجراء معناه الرضوخ للابتزاز السوفيتى مما يضع مصداقية الولايات المتحدة موضع الشك، ويهدد بأخطار اكبر فى المستقبل.

فى هذا الوقت صمم الرئيس كيندى على أن يقرأ كل عضو فى مجلس الأمن القومى كتابا عنوانه " مدافع أغسطس " والكتاب يعرض لكيفية تورط دول أوروبا. فى الحرب العالمية الأولي. وذكر الرئيس كيندى مستشاريه بالمحادثة التى جرت فى عام ١٩١٤ بين اثنين من المستشارين حول أصول هذه الحرب. سأل أحدهما " كيف حدثت الحرب؟" ورد المستشار الآخر: "آه لو كنا نعرف". وكانت هذه هى طريقة كيندى فى التأكيد على مقدار الخطر الذى يمكن أن ينتج عن الخطأ فى التقدير.

والمهم انه بإتاحة مزيد من الوقت، استطاع فريق المستشارين أن يتوصل إلى بديل آخر، بخلاف الضربة الجوية والقبول بالأمر الواقع، وهو إعلان الحصار البحرى على كوبا لإقناع الاتحاد السوفيتى بجدية الولايات المتحدة فى اتخاذ خطوات اكثر حدة وإعطاء خوروتشوف - فى نفس الوقت - منفذا للتراجع بشرف.

وقد نجح هذا القرار فى امتصاص الأزمة، فقد تراجع الاتحاد السوفيتى (فى مقابل تخلى أمريكا عن صواريخ لها فى تركيا). . وتجنب العالم حربا نووية محققة .

ولكن كل الأزمات لا تنتهي بمثل هذه الطريقة، فبعض الأزمات تتحول إلى حروب. والحرب تعد اخطر المسائل فى موضوع الصراع الدولي، بل أن الكثيرين يرون إن موضوع الصراع الدولى يتعلق أساسا بأسباب نشوب الحروب. وسوف نحاول فيما يلى مناقشة هذه الأسباب.

أولا: أسباب الحروب:

ما الذى يجعل الناس ينخرطون فى هذا الصراع الوحشى مع بعضهم البعض منذ الأزل؟ ... ما الذى يجعل البشر يقتلون بعضهم البعض هذا القتل الوحشى فى حروب طاحنة؟ ... إذا سألت فرويد سوف يقول لك ان العنف من طبيعة البشر والحرب بهذا المعنى أمر حتمي.

أما توماس مور فله رأى آخر : " الناس لا يذهبون إلى الحرب بمحض إرادتهم. هوس الملوك هو الذى يدفعهم اليها ".. ومعنى هذا الكلام أن شخصية القادة ودرجة إدراكهم العقلى - او بمعنى اصح لا إدراكهم العقلى - هى التى تقود الناس الى الحرب. وهذا تفسير وجيه، فالحرب قرار يتم اتخاذه على أعلى المستويات فى الدولة وبالتالى فإن شخصية القادة تلعب دورا كبيرا فى نشوب الحروب او تجنبها. والمشكلة ان الحرب تدور بناء على ما يعتقده القادة لا على ما يكون جاريا بالفعل على ارض الواقع. ما معنى هذا؟ ... هناك شيء يسميه علماء السياسة بالصور، ويعنون بها المدركات التى تتكون داخل عقول رجال الدولة تجاه الدول الأخرى وطبيعة العلاقات الدولية بوجه عام. والتصورات

الخاطئة التى يتبناها القادة لا نهاية لها ومن يفتش وراء كل حرب سوف يجد عددا لا بأس به من هذه التصورات والأوهام.

ماذا قالوا أيضا عن تفسير ظاهرة الحرب ؟ ... فوكوياما - المفكر الأمريكى صاحب أطروحة نهاية التاريخ - يرى أن الحرب مرتبطة بالأنظمة الشمولية، فالأنظمة الديمقراطية لا تحارب بعضها البعض لسببين: أولا لأن ما يربط بينها من المصالح المشتركة أكثر ما يفرق بينها، وثانيا لأن قرار الحرب فى الأنظمة الديمقراطية لا يتخذه فرد واحد او مجموعة ضيقة وانما هو فى النهاية - بمعنى من المعانى - قرار الشعب، والشعوب قلما تختار الحرب. وبالتالى فإن تحول الدول الى النظام الديمقراطى كفيل بالقضاء على ظاهرة الحرب مرة واحدة والى الأبد .وقد تخيل الفيلسوف الشهير "أوجست كانت " شيئا قريبا من هذا عندما دعا إلى تجمع عالمى من الدول الديمقراطية وقال بأن تجمعا كهذا كفيل بإحلال السلام فى العالم. وبالطبع فإن البعض يرون فى هذه النظرية قدرا من السذاجة فهناك أمثلة لحكومات ديمقراطية دخلت حروبا ضد بعضها البعض.

وكما نرى فإن الآراء السابقة كلها تحاول تفسير هذا اللغز الذى يستعصى على الحل: لماذا ما زال الإنسان مصرا بعد كل هذا التطور الذى أحرزه، على كل الأصعدة، أن يحسم خلافاته بنفس الطريقة التى كان يتبعها جده البدائى القديم؟. والمشكلة هنا أن الإنسان لا يريد الاعتراف بان الحرب هى ظاهرة عقيمة تعبر عن أحط ما فى نفسه من غرائز، وإنما على العكس يمجدها ويسعد بها ويغنى لها .أنظر مثلا الى قيصر ألمانيا الذى قال عشية الحرب العالمية الأولى : " الحرب ... يا لها من شيء مبهج ".

وانظر الى كل هذه الأغانى الحماسية التى تمجد الشجاعة فى الحروب وتحث الناس على الانخراط فيها.

لقد حدد بعض علماء الاستراتيجية خمسة أسباب أساسية تقود إلى وقوع الحرب بين الدول..

السبب الأول: الأمل الكاذب فى النصر:

السبب الأول لظاهرة الحرب هو الأمل الكاذب فى الانتصار. وهذا أمر واضح فالدول التى تهزم فى الحروب إذا عرفت النتيجة التى تنتظرها ما دخلت الحرب من الأصل. والأكثر من ذلك انه حتى الدول التى تنتصر لو عرفت ان الحرب سوف تكلفها هذه التكلفة ما دخلتها أيضا.

هناك دائما امل كاذب فى الانتصار خلف كل حرب. والدول التى يستغرقها التشاؤم من نتيجة خوض الحروب تكون اكثر حذرا فى التعامل مع الشئون الدولية ولا تدفع الأزمات الى حافة الهاوية لأنها تشك فى نتيجة الحرب، اما الدول التى يستغرقها التفاؤل الكاذب فتكون اكثر تهورا.

وإليك طائفة من أوهام النصر : بركليز اخبر اليونانيين بسهولة النصر ضد إسبرطة . . هانيبال كان مؤمنا بسهولة الانتصار عندما سار بحملته ضد روما فى ٢١٨ ق . م . وفى الحرب بين فرنسا الثورية وأعدائها فى عام ١٧٩٢ كان كلا الطرفان موقنا بأن النصر سيكون حليفه، وعندما وقعت الحرب بين فرنسا وبروسيا فى عام ١٨٧٠ - تلك الحرب التى انتهت بهزيمة فرنسا هزيمة ساحقة - كانت فرنسا مقتنعة بالانتصار فى الراين إلى درجة أن الجيش الفرنسى وزع على ضباطه خرائط

لروسيا بدلا من فرنسا رغم ان مسرح المعركة كان على أرضها!. وعندما وقعت الحرب العالمية الأولى كان الجنود الألمان يتواعدون على اللقاء فى باريس فى ظرف ساعات. وقد تعرض الشعب والجيش والقيادة المصرية إلى وهم مشابه قبيل حرب الخامس من يونيو ١٩٦٧.

ما الذى يحدث الأمل الكاذب فى الانتصار؟ ... قد يكون السبب هو الشوفينية (أى الوطنية المبالغ فيها). فالدول تفكر بأن جنودها لا يمكن أن يهزموا لأنهم من عنصر راق. وعلى سبيل المثال: تضمن أحد الكتب المدرسية الفرنسية فى ستينات القرن التاسع عشر أن الجندى الفرنسى يساوى عشرة جنود ألمان! . . هذه الوطنية المبالغ فيها تساهم أيضا فى سوء تقدير إرادة الخصم .الدول غالبا تفكر كالتالى : " هدفنا شرعي، أما هدفهم فلا ... وهم يعرفون ذلك وبالتالى فسوف يختارون التراجع !". وبالطبع فإن هذا المنطق يتغافل عن أن الآخرين يعتبرون – من وجهة نظرهم الخاصة – أن هدفهم هو الآخر شرعى.

هناك سبب آخر يعزز التفاؤل الكاذب بنتيجة الحرب: الاعتقاد بأن الحرب يمكن أن تكون رخيصة، على سبيل المثال ماوتسى تونج توقع ان تكون الحرب الكورية قصيرة الأمد قليلة التكلفة. أما ما حدث فهو أن الصين خسرت ٩٠٠ ألف رجل فى اكثر الحروب دموية منذ الحرب العالمية الثانية !

كيف نقضى على الأمل الكاذب؟ ... الشفافية هى الحل الوحيد، فإذا كان عند الدول تقدير صحيح لقوتها وقوة الخصم لأمكن تفادى الكثير من الحروب. والشفافية – فى مجال معلومات التسلح بالذات - تمكن العالم من تفادى حروب كثيرة تنتج عن

سوء التقدير. وهذه هي الفلسفة التي تقوم عليها اتفاقيات ضبط التسلح.

السبب الثانى : ميزة الضربة الأولي:

السبب الثانى من أسباب الحرب هو ما يطلق عليه علماء الاستراتيجية: "ميزة الضربة الأولي"، ومعنى ذلك أن تعتقد الدول ـ سواء عن حق أو عن تخيل ـ أن الطرف الذى سيضرب الضربة الأولى سوف يكتب له النصر النهائي. وبالتالى فإن الدول تحاول، ما وسعها ذلك، أن تستغل ميزة الضربة الأولى خصوصا وإنها تعرف ان خصومها سوف يفعلون ذلك أيضا إذا واتتهم الفرصة.

فى هذه الحالة فإن الدول تلجأ الى ما يسمى بالتعبئة الاستباقية: روسيا عبأت قواتها فى عام ١٩١٤ لتستبق هجوما ألمانيا محتملا وتغتنم فرصة الضربة الأولي، وهذه التعبئة الاستباقية كانت من الأسباب الأساسية وراء نشوب الحرب العالمية الأولى.

ونحن نعرف أن القادة العسكريين فى إسرائيل كانوا متلهفين للقيام بالضربة الأولى فى يونيو ٦٧. وقد قال موشيه ديان قائد الجيش لليفى اشكول رئيس الوزراء : " المصريون يتطلعون للضربة الأولي، ولكن سيكون قاتلا بالنسبة لنا أن ندعهم يفعلون ذلك".

وربما نتساءل لماذا تؤدى ميزة الضربة الأولى إلى الحروب؟. والإجابة هى ان ميزة الضربة الأولى تجعل الدول تخفى اعتراضاتها وشعورها بالظلم. ففى عالم ينتصر فيه من يمتشق الحسام قبل خصمه، لا معنى لأن تنذر الدولة خصومها

بأنهم اذا فعلوا "كذا او كيت " فسوف تقوم الدولة بالهجوم عليهم الساعة الثانية عشرة لأنه عندما تقول الدولة ذلك سوف ينتهز خصومها الفرصة ويهجمون هم أولا فى الساعة الحادية عشرة !

هناك مثال يعبر عن هذا المعنى : فى الحرب الكورية، تدخلت الولايات المتحدة عام ١٩٥٠ لرد عدوان كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية، وقد قام قائد القوات الأمريكية الجنرال ماك آرثر بهزيمة قوات كوريا الشمالية بسرعة وجعلها تتراجع الى داخل أراضيها، ثم بدأ بعد ذلك فى مطاردتها شمالا حتى الحدود مع الصين. وكانت المشكلة انه فرق جيشه لكى يتمكن من مطاردة فلول القوات الكورية، وهذا الوضع خلق ميزة ضربة أولى بالنسبة للصين لم تفطن الولايات المتحدة لها!

المشكلة بالنسبة للصين أنها كانت تعتبر تقدم القوات الأمريكية شمالا خطرا على أمنها، وعندما وصلت القوات الأمريكية الى نهر "يال " أضاءت لمبة الخطر الحمراء فى بكين. ماذا فعل ماو تسي تونج ؟. لم يعلن مخاوفه وشعوره بالخطر بوضوح لأمريكا، لأنه رأى أن بإمكانه استغلال ميزة الضربة الأولى ضدها، وبالتالى فقد اظهر اهتمامه بمحادثات السلام مع واشنطن، وتعمد ان يظهر ضعف الصين العسكرى أمام الولايات المتحدة حتى يستدرجها الى الفخ الذى أعده لها فى الشمال. وكانت هذه الحرب من اهم الهزائم التى نزلت بالولايات المتحدة على الأرض فى تاريخها كله.

لميزة الضربة الأولى أيضا مخاطر أخرى كثيرة تتسبب فى إشعال الحروب فهى تعطى للدبلوماسية فرصة ضئيلة، فالدبلوماسيون يفاوضون بينما العسكريون يضعون أيديهم على الزناد لأنهم يعرفون أن الذى سيضرب أولا سوف يفوز. وكذلك

فإن ميزة الضربة الأولى تعطى الدول القليل من الوقت للتفكير، وتجعل الجهود الدبلوماسية مبتورة وعديمة الفائدة.

السبب الثالث: تحولات القوى:

السبب الثالث للحرب هو التغير فى موازين القوي. الدول تعيش حالة دائمة من الصعود والهبوط، ولحظات الصعود والهبوط هذه هى الأكثر خطورة. لماذا؟ الدول الصاعدة التى تزداد قوتها تريد أن تكمل صعودها بأمان .. وبالتالى فهناك احتمال كبير لأن تقوم بضربة وقائية. فى حين تعرف الدول الهابطة أنها سوف تهبط، وتشك فى نية الدول الصاعدة: " ماذا سوف يفعلون بنا عندما يزدادون قوة، ونحن نزداد ضعفا ؟ " ... الدول الهابطة أيضا يكون عندها شك كبير فى احترام الدول الصاعدة للمعاهدات: " هل سيحترمون الاتفاق بعد ان يكتمل صعودهم ؟" . . وقد أشار المستشار الألمانى الشهير "بسمارك" إلى هذا المعنى عندما قال ان كل المعاهدات تحمل شرطا ضمنيا هو : مع ضمان بقاء الأحوال على ما هى عليه!

التحول فى ميزان القوى - أى صعود الدول وهبوطها - يخلق فرصا لدول ومخاوف عند دول أخري. وقد أشار المؤرخ اليونانى ثيوسيدس أن أحد الأسباب الأساسية للحرب بين أثينا وإسبرطة هو النمو الهائل لقوة أثينا والخوف الذى سببه هذا النمو عند إسبرطة.

الدول تحب ان تحارب فى وقت يلائمها : الوقت الذى تكون فيه فى قمة قوتها. خصوصا إذا كانت متوقعة بأن الحرب آتية لا

محالة فالدول تختار أن تحارب الآن بدلا من "فيما بعد" على أساس أنها لا تضمن استمرار قوتها.

الألمان فكروا فى الحرب العالمية الأولى على النحو التالى: الروس يعدون مشروعا لبناء السكك الحديدية وتحديث الجيش، وسينتهى هذا المشروع فى عام ١٩١٧. إذا تركناهم حتى ذلك الحين ابتلعونا، فموارده‍م اكبر وخصوصا فيما يتعلق بعدد السكان، وهذا المشروع يتيح لهم وقتا لتعبئة كل هذه الموارد ضدنا. لنختبرهم فى أزمة ما نوصلها إلى حافة الهاوية: إذا اختاروا الحرب فمعنى ذلك انهم كانوا يبيتون النية منذ البداية . . وكانت هذه الأزمة هى أزمة يوليو ١٩١٤ التى كانت المقدمة للحرب العالمية الأولى!

من ناحية أخري، نرى أن الدول الصاعدة تقوم بإخفاء مشاعرها بالظلم واعتراضاتها حتى يكتمل التحول فى ميزان القوي، خوفا من أن يؤدى إعلانها لهذه الاعتراضات إلى تعرضها لضربة وقائية. إخفاء الاعتراضات يقود بدوره إلى إعاقة الدبلوماسية فكيف يمكن للدبلوماسية مواجهة مشاكل غير معروفة ؟!.

وقد كان هذا بالضبط ما فعله هتلر فى الثلاثينات : أخفى نواياه العدوانية حتى يكتمل التحول فى ميزان القوى لصالح ألمانيا، وتصريحاته فى منتصف الثلاثينات تدل على هذا التوجه فقد كان يقول أن " ألمانيا ليس لديها أى نوايا عدوانية تجاه العالم، وكل ما تتمناه من صميم قلبها هو أن تعيش فى عالم يعمه السلام والأمن!".

هذه السياسة التى اتبعها هتلر أدت إلى تأخير قيام حلف مناوئ له لردعه، فالولايات المتحدة أفاقت فقط عندما كان هتلر قد بدأ

بالفعل فى تنفيذ مشروعه. وهتلر كان عنده اقتناع بأن الولايات المتحدة لن تدخل الحرب ضده، ولو كان يعرف بأن الولايات المتحدة سوف تدخل الحرب ربما لأعاد التفكير فى مشروعه برمته.

التحول فى موازين القوى يؤدى إذا إلى تزايد احتمالات وقوع الحرب، فالتحول يخلق الموقف التالى : الدول الصاعدة تريد مزايا اكثر (مثل ألمانيا التى كانت تريد إمبراطورية استعمارية أوسع فى بداية القرن) أما الدول الهابطة فتخشى ان يكون التسليم بمطالب الدول الصاعدة بداية لابتزاز لا ينتهى .

هجوم اليابان على بيرل هاربر لا يمكن تفسيره إلا من خلال فكرة التحول فى ميزان القوى وما تخلقه من فرص ومخاطر : اليابان كانت قد بدأت برنامجا لتحديث أسطولها البحرى فى أواخر الثلاثينات. فى الوقت نفسه كانت الولايات المتحدة تستعد لبرنامج بناء عسكرى شامل يبدأ فى أوائل الأربعينات. ولو انتظرت اليابان فترة أطول لأصبحت فى وضع ضعيف فى مواجهة خصم يفوقها عشر مرات فى مصادر القوة الشاملة خصوصا وأن الولايات المتحدة فرضت عليها حصارا بتروليا، وفى عام ١٩٤٠ كان تقدير اليابانيين أن مخزونهم البترولى يكفيهم لمدة سنتين فقط ينهار بعدهما كل شيء! . . ولكن - وهكذا فكر صقور العسكرية اليابانية - إذا استغلت اليابان الفرصة اللحظية التى تتمثل فى تفوقها النسبى فى الباسفيكي، ووجهت ضربة قاضية إلى الأسطول الأمريكى المكشوف فى هاواى لكان لديها فرصة فى الاحتفاظ بمكانتها. وفى غمرة التسرع لاتخاذ قرار توجيه الضربة الأولى لأمريكا لم يناقش العسكريون سؤالا محوريا : هل فى إمكان اليابان مواجهة الولايات المتحدة

وبريطانيا فى حرب طويلة ؟. وقد عرض أحد الضباط اليابانيين الموقف للإمبراطور "هيروهيتو" على النحو التالى : " إن الموقف يشبه حالة المريض الذى اشتد عليه المرض وعليه إجراء عملية جراحية قد تكون خطيرة ولكنها تعطى بعض الأمل فى إنقاذ حياته " .

وكل هذا يوافق نظرية التحول فى ميزان القوى : اليابان رأت أمامها نافذة فرصة مفتوحة فبدأت تتحرك هجوميا لأنها كانت تعرف ان التأخير ليس فى صالحها .

السبب الرابع : الحصول على الموارد :

وهذا سبب يعتبره الكثيرون من أهم الأسباب التى تقود الى اندلاع الحروب وهو سبب له علاقة برغبة الدولة فى الحصول على الموارد الاقتصادية، وقد ناقشنا فى الفصل السابق رأى لينين الذى كان يرى أن ظاهرة الحرب مرتبطة بالإمبريالية، وبالصراع بين الدول الرأسمالية على حيازة المستعمرات. وقلنا أن هناك الكثير من الاعتراضات على هذا الرأى، ولكن هذا لا يمنع ان السبب الاقتصادى الذى يتلخص فى سعى الدول للحصول على موارد وإمكانيات اكثر لا تتوافر لديها كان وراء اندلاع الكثير من الحروب.

" الحصول على الموارد التراكمية " هو التعبير العلمى الدقيق الذى يستخدمه علماء الاستراتيجية فى التعبير عن السبب الاقتصادى فى نشوب الحروب. والموارد التراكمية هى تلك الموارد التى عندما تمتلكها الدولة تسهل لها الحصول على موارد جديدة . . كيف يكون هذا ؟ .

فى فترة من الفترات كان الفحم موردا تراكميا، فالحصول على الفحم يمكن الدولة من بناء أساطيل قوية تمكن الدولة من احتلال مناطق أخرى. فى فترة أخرى كانت الأرض الزراعية موردا تراكميا لأن الحصول على مزيد من الأرض الزراعية يعطى الدولة ميزة هامة : ألا تفرض الدول الأخرى عليها حصارا غذائيا. وبعد ذلك صار الحصول على الموارد الصناعية هو الغاية الكبرى للدولة، لأن الموارد الصناعية هى العماد الأول للجيش الحديث. الأرض نفسها كانت ـ ومازالت فى حالات قليلة ـ موردا تراكميا فالحصول على أراض تعطى الدولة عمقا استراتيجيا يمكنها من الدفاع عن نفسها ضد الغزو. والكثير من العسكريين الإسرائيليين يستخدمون هذا المنطق فى التفكير لتبرير سعى إسرائيل بالتوسع بأنه سعى لما يسمونه بالرغبة بالحصول على " حدود آمنة".

والتفكير فى الموارد المتراكمة قاد الدول فى الماضى للغزو : اليابان وألمانيا فى الثلاثينات كانتا تعتقدان انهما تحتاجان إلى إمبراطورية أوسع لأن اقتصادهما يمكن ان يختنق إذا طبق عليهما الأعداء حصارا اقتصاديا، وهتلر قال ذات مرة : " أريد الحصول على أوكرانيا (التى تتمتع بموارد زراعية كبيرة) حتى لا يتمكنوا من تجويعنا كما فعلوا فى الحرب الماضية ". أما الولايات المتحدة فكانت ترى إن سيطرة المحور على الموارد الأوروبية هو تهديد مباشر لأمنها، ونفس المنطق كان وراء وقوفها أيام الحرب الباردة فى مواجهة روسيا، فمعنى أن يسيطر الاتحاد السوفيتى على كتلة أوراسية كبرى أن يكون فى موقف يهدد أمريكا تهديدا مباشرا. أى أن الدول قد لا تكون مهتمة

بالحصول على الموارد المتراكمة ولكن يهمها ألا يحصل الآخرون عليها، وهذا المنطق قد يتسبب بدوره فى وقوع الحروب على طريقة " **الأرض المحروقة** "، أى تدمير موارد معينة كى لا يستفيد منها الخصم.

ولكن هل مازال للموارد هذه الأهمية التى كانت لها فى الماضى؟ الحقيقة أن الكثير من علماء السياسة يرون أن الموارد لم يعد لها هذه الأهمية التى كانت تحتلها فى الماضي، وأن الحصول على الموارد التراكمية لم يعد من أسباب الحرب. لماذا؟ لأن السلاح النووى غير قواعد اللعبة كلها. مثلا لم يعد العمق الاستراتيجى شيئا هاما للدولة فى وجود الصواريخ الاستراتيجية ووسائل الإطلاق عبر القارية، وهذه الفكرة تضع علامة استفهام كبيرة على سعى إسرائيل إلى حيازة حدود يمكن الدفاع عنها.

كما أن الاقتصاد الصناعى المتقدم تحول إلى اقتصاد معرفة يعتمد على التكنولوجيا العالية. وهذا النوع من الاقتصاد لا يمكن للغازى أو المستعمر ان يسيطر عليه. فلكى تسيطر على دولة لابد ان تفرض قيودا صارمة على استخدام التكنولوجيا المتقدمة، فأجهزة الكومبيوتر والطابعات يمكن أن تستخدم فى تنظيم المقاومة ضد المستعمر. أى انك لكى تسيطر على دولة ذات اقتصاد متقدم يعتمد على المعرفة لابد ان تدمر العوامل التى تجعل هذا الاقتصاد متقدما!. والنتيجة ان سيطرتك على دولة ذات اقتصاد عالى التكنولوجيا لن تكون ذات عائد كبير.

وفضلا عن ذلك فإن القومية أيضا ساهمت فى جعل الغزو غير مجد. القومية ـ كفكرة ظهرت إلى الوجود فى القرن التاسع عشر ـ جعلت استعمار الدول أمرا صعبا، لأنها جعلت البقاء فى

الدول المستعمرة وقمع شعوبها عملية اكثر تكلفة مما مضي. إضافة إلى أن ظهور الأسلحة الخفيفة واستخدام تقنيات حرب العصابات جعل مقاومة الشعوب للاستعمار اكثر عنفا وتأثيرا. وبالاختصار فإن الغزو لم يعد اليوم وسيلة فعالة للحصول على الموارد أو لزيادة القوة الوطنية.

السبب الخامس : سهولة الغزو:

السبب الخامس، والأخير، فى ظاهرة الحرب يلخصه علماء الاستراتيجية فى عبارة واحدة : " الحرب تكون اكثر احتمالا عندما يكون الغزو سهلا ". وهذه العبارة قد تبدو ساذجة أو بسيطة، ولكنها - فى نظر الكثيرين - تفسر السبب الأساسى وراء اندلاع الحروب.

فعندما تعتقد الدول ان الغزو سهل، سواء كان ذلك حقيقة أو وهما، فإنها تبادر بالهجوم على أساس أن النصر سوف يكتب للمهاجم وليس للمدافع. وفى عالم " الغزو السهل " يكون الأمن هشا للغاية، فالدول تعتقد دائما بأن أمنها فى خطر. والمشكلة هنا ان كل إجراء تتخذه الدولة للدفاع عن نفسها يفسر من جانب الدول الأخرى على انه إجراء يقصد به تعزيز قدراتها الهجومية (معضلة الأمن التى تحدثنا عنها فى الفصل الثانى). وبالاختصار فإن الدول ترى - فى هذا الجو الخطر - ان خير وسيلة للدفاع هى الهجوم، وأن الحصول على الأمن غير ممكن ألا عن طريق تهديد أمن الآخرين، وقريب من هذا ما أشار إليه الشاعر القديم وهو يستنهض قبيلته للحرب :

" قوموا قياما على أمشاط أرجلكم
ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا " !!

فهو يقول لقومه: هبوا إلى الحرب لكى تنالوا الأمـن والسـلام ! وبسمارك قال ذات مرة بأن **"الحرب الوقائية"**) أى تلك الحرب التى تخوضها الدولة عندما تعتقد أنها ستكون معرضة للـهجوم إذا لم تأخذ زمام المبادرة) هى "الانتحار خوفا من الموت !".
الحرب لا تختلف كثيرا عن الحب : فـى الحب يعـانى المحـب عذاب الشك فـى نوايـا المحبـوب، ويسـهر الليل يفكـر مـا إذا كـان حبيبه يبادله نفس الشعور. وفى الحرب يسهر رجـال الدولـة الليل يفكـرون فـى نوايـا الـدول الأخـرى : " لمـاذا يبـالغون فـى بنائــهم العسكرى؟... لماذا أعلنوا التعبئة العامة؟:" فى الحـب لا يمكـن ان يتأكد المحب مـن نوايـا المحبـوب إلا بـالإعلان والمصارحـة، فـى الحرب ليس هناك مصارحة أو إعلان وإنما سرية وتكتم تزيد مـن الشك والخوف عند الدول.
فى الحرب العالمية الأولى مثـال جيد علـى هـذا المعنـى : فـى بداية القرن العشـرين سـادت عقيـدة عسـكرية واسـتراتيجية أطلـق عليها البعض " عبادة الهجوم ". ومعنى هذا ان القوى الكبرى فـى أوروبا وقتها كانت تعتقد بأن المهاجم سوف يكتب له النصـر. فـى حين ان الدولة التى تقف فى موقف الدفاع لن تلاقى سوى الهزيمة والهوان.
وعلـى هـذا الأسـاس كـانت كـل الخطـط العسـكرية خططـا هجوميـة، وأخطـر هـذه الخطـط جميعـا كـانت خطـة " شـليفن" الألمانية. ومكمن الخطورة فـى الخطـة الألمانيـة أنـها كـانت تقـوم على مزج بين التعبئة والـهجوم فـى خطـوة واحـدة. كـانت الخطـة

تقوم على معادلة بسيطة : إذا أعلنت روسيا التعبئة، تقوم ألمانيا بالهجوم على بلجيكا وفرنسا ! والسبب ان ألمانيا كانت معتقدة بأنها ما ان تتورط فى حرب مع روسيا حتى تسارع فرنسا إلى الهجوم عليها من الجبهة الغربية لاسترداد الالزاس واللورين التى سلبها الألمان فى عام ١٨٧٠.

هذه الخطة وضعت تقريبا قبل خمس سنوات من نشوب الحرب العالمية الأولي، وكانت سرا من أسرار الدولة إلى درجة أن المستشار الألمانى والقيصر لم يكونا على علم بأن الخطة تمزج بين التعبئة والهجوم فى خطوة واحدة.

وعندما نشبت أزمة يوليو ١٩١٤ باغتيال الارشيدوق النمساوى على يد الصرب، كان الرد الروسى هو إعلان التعبئة العامة. لماذا ؟ روسيا كانت تفكر بنفس الطريقة : فى عالم الأمن فيه ضعيف لا يمكن أن نترك النمسا تلتهم صربيا لأن ذلك معناه أن يهددنا الألمان - حلفاء النمسا - فى عقر دارنا.

ما الذى حدث بعد إعلان روسيا التعبئة ؟ ... انتهت الجهود الدبلوماسية التى كان يمكن ان تسفر عن حل للأزمة إذا توافر المزيد من الوقت. وبدأ تنفيذ الخطة الألمانية على الفور بالهجوم على فرنسا وبلجيكا. مما اجبر بريطانيا على دخول الحرب لأنها تعتبر - عبر التاريخ - ان الهجوم على بلجيكا تهديد مباشر لأمنها. إنها سلسلة متوالية من التخبط الذى ينتج عن الشك والسرية والاعتقاد بأن النصر سوف يكون حليف المهاجم ، فبريطانيا لو كانت تعلم بالخطة الألمانية لمارست ضغوطا على روسيا حتى لا تعلن التعبئة العامة. أو لأظهرت لألمانيا إنها سوف تدخل الحرب إذا قامت ألمانيا بغزو بلجيكا. وفى هذه الحالة فإن ألمانيا كانت سوف تفكر مرتين قبل أن تمضى فى خطتها لاحتلال بلجيكا.

الاعتقاد بأن الغزو سهل يفسر الكثير من الحروب، والدول الأكثر تعرضا للخطر هى تلك الدول التى تشعر بأن أمنها ضعيف (مثل ألمانيا)، لأن هذه الدول يكون عندها شك هائل فى نوايا الدول الأخرى. والحرب العالمية الأولى يمكن تلخيصها فى عبارة واحدة : ألمانيا كانت تشعر بأن أمنها مهدد، وسعت إلى الحصول على الأمن عن طريق تهديد أمن كل جيرانها، وهذا خلق لها كابوسا مرعبا هو اجتماع كل جيرانها عليها لهزيمتها. وموقف ألمانيا، فى القرنين التاسع عشر والعشرين، لا يختلف كثيرا عن موقف إسرائيل. فهى رأت منذ نشأتها أن أمنها لا يمكن صيانته إلا عن طريق عقيدة عسكرية هجومية.

وبهذه الطريقة يمكن أن نفسر عدم انخراط الولايات المتحدة فى حروب هجومية كثيرة: فهى تشعر بالأمن بسبب موقعها الجغرافى الحصين، وبالتالى فمن النادر أن تشتبك فى حروب مع الدول الأخرى من اجل الحصول على الأمن.

ثانيا : أنواع الحروب

حتى اليوم يجد الكثيرون صعوبات كبيرة فى تحديد أى من الصراعات المسلحة يمكن أن نطلق عليه حربا. فهناك حالات كثيرة يستخدم فيها العنف ولكنها تقع فى المنطقة الرمادية بين السلام والحرب. وعلى سبيل المثال فقد أعلنت الولايات المتحدة بعد الهجمات الإرهابية على برجى التجارة فى نيويورك فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أنها فى حالة حرب، فى حين أن من نفذوا هذه العملية الإرهابية لم يكونوا أعضاء فى القوات المسلحة لأى دولة من الدول، وإنما كانوا أفرادا فى شبكة إرهابية عالمية هى منظمة

" القاعدة " فهل يمكن اعتبار ما حدث فى ١١ سبتمبر حربا؟ . . هذه مسألة شائكة وتختلف فيها الآراء.

ولذلك فقد حاول البعض وضع معايير يمكن من خلالها أن نميز بين الحرب وغيرها من ظواهر الصراع التى يستخدم فيها العنف ومنها مثلا معيار عدد القتلى، ووفقا لهذا المعيار فإن أى نزاع مسلح يؤدى إلى مقتل اكثر من ألف فرد يمكن إن يطلق عليه حرب. وهناك من يركز على البعد القانونى فيقول بأن الحرب يمكن تمييزها عندما تقوم الدول بإعلانها، ولكن هذه النظرة تعتبر قديمة جدا.

وبشكل عام يمكن تقسيم الحروب على النحو التالى :

١ـ حروب الهيمنة :

هى حروب تخوضها الدول للسيطرة على النظام العالمى كلية، ويطلق عليها الحروب العالمية أو الكونية، وآخر هذه الحروب كانت الحرب العالمية الثانية. واليوم لا يمكن أن تحدث هذه النوعية من الحروب دون أن تؤدى إلى دمار البشرية.

٢ـ الحرب الشاملة :

هى حروب تخوضها الدول لغزو الدول الأخرى واحتلالها، والغرض هنا هو الوصول لعاصمة الدولة المعادية وإجبار حكومتها على الاستسلام، وفى حالات نادرة يتم ضم إقليم الدولة المهزومة إلى إقليم الدولة المنتصرة كما فعل صدام حسين مع الكويت عندما أطلق عليها المحافظة العراقية التاسعة عشرة.

والحرب الشاملة كما نعرفها اليوم نشأت من أيام نابليون الذى قام بإدخال مفهوم التجنيد الإجبارى واسع النطاق، وسخر الاقتصاد الفرنسى كله للحرب.

ومع الثورة الصناعية زاد الحماس لمفهوم الحرب الشاملة التى أدخلت المجتمع والاقتصاد كله فى المجهود الحربي، وقد كانت الحرب الشاملة الأولى - بالمعنى الكامل- هى الحرب العالمية الأولي. ولكى نعرف الفرق بين طبيعة هذه الحرب وطبيعة الحروب التى سبقتها يكفى إن نقارن عدد قتلاها الذى بلغ نحو ١٥ مليونا بقتلى المعركة التى انتصر فيها بسمارك على النمسا فى عام ١٨٦٦ الذين بلغ عددهم ٣٦ ألفا.

فى الحرب الشاملة يتم تجنيد المجتمع كله للحرب، فى حين يعتبر مجتمع العدو كله هدفا مشروعا. وعلى سبيل المثال فقد قام الأمريكيون والإنجليز بقذف المدن الألمانية – مثل درسدن – بصواريخ V2 فيما كان يعرف بسياسة " القذف الأستراتيجى" التى كان الهدف منها إضعاف الروح المعنوية للعدو، وقد أدت هذه السياسة إلى مقتل حوالى ٦٠٠ آلف مدنى ألمانى.

إن الحرب الشاملة تحدت أعرافاس وقيما توارثتها البشرية منذ القدم بشأن المسموح به والممنوع فى الحرب، عندما اعتبرت أن المجتمع كله يعتبر هدفا مشروعا فى وقت الحرب.

وكان أول من أشار إلى مفهوم الحرب الشاملة هو الضابط الألمانى " فون درجولتز " فقد ألف كتابا فى عام ١٨٨٣ عنوانه " الأمة تحمل السلاح " وفى هذا الكتاب تحدث عن أن موجة المستقبل لن تكون الحروب بين الجيوش النظامية فقط ، وإنما الأمة كلها سوف تكون هدفا فى المعارك، وبالتالى فإن الأمة كلها مطالبة بأن تحمل السلاح. وقد دارت الحرب العالمية الأولى بنفس الصورة التى تخيلها هذا الضابط الألماني.

وفى عام ١٩٣٦ ألف الضابط أركان حرب اريك لوندروف، الذى كان رئيسا لأركان الجيش الألمانى خلال الحرب العالمية

الأولي، كتابا عنوانه " الحرب الشاملة". وفي هذا الكتاب حاول لوندروف أن يهدم الفكرة القائلة بضرورة التفرقة بين الجيش والشعب، ودعا إلى أن يكون البلد كله، عسكريين وغير عسكريين، رجاله ونساؤه وأطفاله عبارة عن جيش ضخم، كل يخدم في موقعه. وعلى رأس هذه المنظومة لابد من وجود قائد عسكري ذي سلطة مطلقة بما في ذلك الحق في تجاوز السلطة القضائية وإعدام من يرى انه يعوق المجهود الحربي من المجتمع. وقد وصل " لوندروف " إلى أقصى درجات التطرف عندما قال بأن هذا النظام لابد ألا يقتصر على زمن الحرب، فقد بلغ من اتساع نطاق النزاعات الحديثة ومن طول فترة الإعداد لها ما يقتضى أن تستمر هذه الدكتاتورية العسكرية على الدوام.

إن هذه الآراء المتطرفة كانت تمثل خلاصة تفكير المدرسة العسكرية الألمانية التي كانت ترى أن الكفاءة هي اعظم إنجاز للإنسان، ومن ثم لابد من البحث عن شتى السبل التي من شأنها أن توجه الهياكل الاجتماعية لتحقيقها. وقد تحولت هذه الآراء إلى واقع مروع في الحربين العالميتين اللتين شهدتا مذابح وحشية لا سابق لها في التاريخ البشري.

وقد كان كلاوزوفيتس قد أشار في كتابه " عن الحرب " إلى أن الحرب هي عمل تعلنه الدول، وتخوضه الجيوش في حين تبقى الشعوب بعيدة عنها. وكلاوزوفيتس بهذا الكلام كان يعبر عن تقاليد توارثها البشر منذ القدم بشأن النزاعات المسلحة، وأهم هذه التقاليد على الإطلاق هو التفرقة بين العسكريين، والمدنيين الذين لا يحملون السلاح.

والحق أن الإنسان سعى منذ القدم إلى وضع قواعد للحرب لأنه عرف أنها نشاط ينطوي على أعمال ذات خطورة كبيرة مثل

القتل وأرقة الدماء، وكانت هذه القواعد توضح ما هو المسموح به وما هو الممنوع، حتى لا يتحول الأمر إلى فوضى شاملة. وعلى سبيل المثال فإن قتل الجرحى والجنود الذين يستسلمون يعتبر عملا مناقضا للأعراف الحربية. وقد كان الرسول) عليه الصلاة والسلام (يوصى قادته العسكريين قبل الخروج للغزو بالا يقتلوا طفلا ولا امرأة ولا شيخا فانيا.

وقد تطورت هذه الأعراف والقوانين فى القرنين التاسع عشر والعشرين تطورا كبيرا كرد فعل على المذابح التى شهدتها البشرية، وكان أهم تجسيد لهذا التطور هو معاهدات "لاهاي" عام ١٩٠٧، واتفاقيات جنيف الأربع ١٩٤٩. وكل هذا التراث الإنسانى تجسد فى ما يطلق عليه اليوم **القانون الدولى الإنساني**.

٢ـ الحرب المحدودة :

الحرب المحدودة تشير إلى أعمال عسكرية تنفذ للوصول إلى أهداف تقل عن هدف استسلام العدو واحتلال أراضيه (على عكس الوضع فى الحرب الشاملة).

وعلى سبيل المثال، فإن الولايات المتحدة التى قادت التحالف الدولى لتحرير الكويت من الاحتلال العراقى عام ١٩٩١، كان هدفها هو استعادة الكويت. لذلك فهى لم تحتل الأراضى العراقية ولم تطح بصدام حسين.

والنزاعات الحدودية ـ التى تحدثنا عنها فى الفصل السابق ـ تقع فى طائفة الحرب المحدودة. وكذلك الغارات التى تتضمن عمليات قذف أو اقتحام سريعة ذات هدف محدود مثل العملية التى نفذتها إسرائيل عندما قذفت المفاعل الذرى العراقى فى عام

١٩٨٢ لتمنع العراق من تطوير السلاح النووى. فقد كانت عملية سريعة لها هدف محدد وانتهت فى فترة قصيرة.

ومن أمثلة الحرب المحدودة، الحرب التى خاضتها الولايات المتحدة فى مواجهة حركة " طالبان " فى أفغانستان فى أعقاب هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

٤ـ الحرب الأهلية :

هى حرب بين فصائل داخل دولة واحدة تحاول تشكيل ـ او منع تشكيل ـ حكومة جديدة للدولة كلها، أو على جزء منها. والهدف قد يكون تغيير النظام الحاكم كلية، أو إزاحة بعد العناصر داخله، أو الانفصال بمنطقة ما كدولة مستقلة جديدة.

ومن أمثلة الحروب الأهلية الحرب الأهلية الأمريكية بين الشمال والجنوب فى ستينات القرن التاسع عشر، وكذلك الحرب الأهلية التى خاضها شعب إريتريا للاستقلال عن أثيوبيا فى الثمانينات.

وقد تدور الحرب للسيطرة على الدولة كلها، كما حدث فى الحرب الأهلية فى السلفادور فى الثمانينات وهى حرب راح ضحيتها اكثر من نصف مليون. فعلى عكس ما قد يتوقع المرء، تكون الحروب الأهلية اكثر عنفا ودموية من الحروب التى تدور بين الدول.

٥ـ حرب العصابات :

تتشابه حرب العصابات مع الحرب الأهلية فى بعض جوانبها، ولكن يميزها أنها حرب تخاض بلا خطوط واضحة تفصل بين القوات.

والغرض من حرب العصابات هو تجنب مواجهة العدو وجها لوجه، وإنما التحرش به وتكبيده خسائر لا يستطيع تحملها.

وفي حرب العصابات تجد الجيوش صعوبة كبيرة، لأنها تواجه قوات غير نظامية تعمل وسط - وغالبا في حماية - الجماعات السكانية. لذلك فإن تكتيك الفوز في حرب العصابات غالبا ما يتضمن مجهودات لكسب ولاء السكان المحليين - أو تخويفهم بشدة - بحيث لا يقدمون الدعم للجماعات التي تمارس الحرب.

وفي حرب العصابات يعاني المدنيون بشدة، لأن طرفي الحرب يبذلون ضغوطا عسكرية على نفس المناطق في نفس الوقت حيث لا توجد خطوط فاصلة بين مواقع القوات.

وقد خاضت قوات (الفيت كونج) حرب عصابات ناجحة ضد الولايات المتحدة في فيتنام في الستينات والسبعينات، انتهت بانسحاب الولايات المتحدة في إشارة بالغة الدلالة إلى قوة تكتيكات حروب العصابات.

وفي السنوات الأخيرة انتشرت حروب العصابات في مناطق كثيرة من العالم وصارت تحل، شيئا فشيئا، محل الحروب التقليدية التي تخوضها الجيوش في مواجهة بعضها البعض.

خاتمة :

هل الصراع - والحرب ظاهرتان حتميتان ؟

بعد أن ناقشنا فى الفصل السابق الحرب و أسبابها وأنواعها يمكن أن نقول ونحن مطمئنون أن الحرب ليست ظاهرة حتمية، فهى ظاهرة لها أسباب ومظاهر محددة يمكن معالجتها .فى حين أن التفكير فيها باعتبارها شيئا حتميا لا فكاك منه هو الذى يجعلها حتمية بالفعل .

وخبراء السياسة يقولون ان السلاح النووي، ومبدأ (الدمار المؤكد المتبادل)، مهدا للقضاء على الكثير من أسباب الحرب لأنهما عززا من قدرة المدافع - وليس المهاجم - وقضيا على فكرة ميزة الضربة الأولى - التى قلنا أنها تعد من أهم أسباب الحرب - لأن الدول التى تمتلك السلاح النووى يمكنها امتصاص الضربة الأولى والرد بضربة ثانية .وهنا لا مجال أيضا للأمل الكاذب فى الانتصار ولا مجال للسعى للحصول على الموارد المتراكمة من خلال الغزو.

ويمكن تشبيه التغير الذى ادخله السلاح النووى على عالم الصراع الدولى بانه أعطى رجال السياسة "كرة بللورية "يستطيعون أن يروا من خلالها نتائج الحروب والصراعات قبل أن يقدموا عليها .

وفى فترة سابقة كان النـاس متخوفين من السـلاح النـووي، فليست هناك سابقة لسلاح عرفه البشر ولـم يستخدم فـى الحـرب. ولكن الكثير من الخبراء يؤكدون أن السـلاح النـووى يعـزز السلام ويقلل احتمالات الحـرب علـى الأقل بين الدول الكبري. ولكنهم يشيرون إلى ان السلاح النووى يقود إلـى السـلام إذا كـانت القوى التى تمتلكه يمكن ردعـها، أى يمكن تخويفـها من خـلال التـهديد بضربـة نوويـة مضـادة إذا أقدمت علـى اسـتخدام السـلاح النووي .أما الدول التى لا يمكن ردعـها فـهى تلـك الـدول التـى لا يهمها ما يحدث لشعوبها، فما يهمها فقـط هـو الاحتفـاظ بالسـلطة. وهـذا يفسر الموقف الأمريكـى مـن العـراق وإيـران ومسـاعيهما للحصول على أسلحة الدمار الشامل .

وبجانب اثر السلاح النووى فى إنهاء ظاهرة الحـرب، فـإن التطـور الإنسـانى فـى السنوات الأخيرة يشـير إلـى أن الكثـيرين صـاروا يرون فى الحرب شيئا مستهجنا، وأن البشـرية تجـاوزت هذه الظاهرة تماما كما تجاوزت العبودية والمبارزة .

وهناك الكثير من الجماعات ـ من مختلف دول العـالم ـ تحـاول أن تقوم بمجهودات فى مواجهة ظاهرة الحرب عـن طريق تنميـة العلاقات بين الشعوب والأفراد عبر الحـدود .وهـذه الجماعـات، التى يطلق عليها "جماعات السلام "، ترفض التعامل مع الحـرب باعتبارها ظـاهرة طبيعيـة وتتفق مـع مـا قالـه الرئيس الأمريكـى فرانكلين روزفلت من أنه " لم يكن هناك أبدا حرب جيدة أو سـلام سيئ ".

وهذه الجماعات تحـاول دومـا أن تنظـم نفسـها فـى مظـاهرات تعترض على الحروب، مثل المظاهرات التـى خرجت اعتراضـا على حرب فيتنام فى الولايات المتحدة والمظاهرات التـى خرجت

اعتراضا علـى غزو إسرائيل للبنان فـى عام ١٩٨٢ .وقد قال الرئيس الأمريكى ايزنهاور ذات مرة : " إن الناس يريدون السلام بشدة، وفى يوم من الأيام سيكون علـى الحكومات أن تبتعد عن الطريق وتدع الناس ينالونه" .

وتنادى هذه الجماعات أيضا باقتلاع ما يسمى بـ **"ثقافة الحرب"** .ويقصدون بها تلك النزعة إلى تمجيد الحرب فى الأفلام والكتب والأغانى .

والحقيقة ان الشعوب أدركت منذ القدم أن الحرب، رغم بشاعتها، تفرز الكثير من القيم الإيجابية مثل التضحية والشجاعة وايثار الآخرين، والخروج من دائرة الفردية والارتباط بالمجتمع الأوسع . وقد قال أحد القادة العسكريين ذات مرة : " من الخير أن تتسم الحرب بهذا القدر من البشاعة وإلا لكنا قد أحببناها كثيرا ! وعشية الحرب العالمية الأولى كتب تشرشل إلـى إحدى صديقاته يصف لـها كم هو منفعل متحمس ويشعر بالإثارة إزاء هذه الحرب، وفى عام ١٩٤٥ شعر وكأنه مقدم على الانتحار.

ولطالما احتفلت الدول بالقيم الحربية عن طريق تقاليد معروفة مثل تمجيد المحاربين القدماء وتقديم مزايا لـهم، أو إقامة نصب تنكارى للجندى المجهول .

وهناك ثقافات عسكرية بطبعها، وعلـى سبيل المثال، فالكثيرون يقولون إن المجتمع الأمريكى مجتمع يحتفل بالعنف ويعتبره أمرا عاديا . وفى فيلم " باتون "، الذى يروى قصة الجنرال " باتون "الذى كان قائدا للقوات الأمريكية فى الحرب العالمية الثانية، يقف القائد فى بداية الفيلم مخاطبا خريجى الكلية العسكرية قائلا : " ليس صحيحا أيها السادة أن الأمريكيين لا

يريدون الحرب .. انـهم يعشقون الحـرب ويمجدون المنتصـر ولا يتسامحون مع المهزوم " .

وعلى الرغم من ذلك فإن عـددا مـن البلـدان اليـوم تتبنـى ثقافـة مضـادة للحـرب علـى طـول الخـط . وعلـى سـبيل المثـال فـإن كوستاريكا لا تحتفظ بجيش وإنما فقط بقوات شـرطة مسـلحة تسليحا خفيفا .

وفي اليابان يضع الرأى العام ـ ربما اكثر من الدستور ـ قيودا كثيرة علـى اسـتخدام القـوة المسـلحة كـإحدى أدوات السياسـة الخارجية . وقد تعالت أصـوات فـى داخل اليابـان لتعترض علـى إرسالها قوة حفظ سلام إلى كمبوديا فى عام ١٩٩٢ على أسـاس أن هذا يعد خرقا لمبدأ نبذ العسكرة والحرب .

والحقيقة إن الحرب قد صارت مستبعدة فى مناطق معينـة مـن العالم .وبالتحديد ففـى أوروبـا والأمريكتين قلت كثيرا احتمـالات الحرب الشاملة . وقد أشـرنا من قبل إلـى مفكرين وخبراء ممـن يعزون ذلك إلى الالتزام بالديمقراطية .فى حيـن يشـيرون إلـى إنـه فى الدول الشمولية، حيث تسـيطر مجموعـة صغيرة، او فـرد واحد فى حالات كثيرة على كل شـيء، تكون احتمـالات الحـرب اكبر.

فالحاكم الفرد يسعى دومـا إلـى اكتسـاب الشـرعية عـن طريـق الانخراط فى صراعات خارجية توجه اهتمام مواطنيـه وحماسـهم إلى الخارج لينسوا بؤس حالهم فـى الداخـل .والحـاكم الفـرد الـذى يرتكب الكثير من الجرائم فى حق شعبه دون أن يحاسبه أحد يظـن أن فى إمكانه القيام بمغامرات خارجية دون أن يتعرض لعقاب.

وليس صدفة أن أكثر المناطق معاناة من ويلات الحروب فى العالم كله (أفريقيا والشرق الأوسط) هى المناطق التى ما زال يسيطر على السلطة فيها أنظمة غير ديمقراطية.

وعلى العكس ففى المناطق التى أحرزت فيها الديمقراطية انتصارات حاسمة صارت الحرب مستبعدة تماما . وليس معنى ذلك إن فكرة الصراع الدولى انتهت تماما فى هذه المناطق . ولكن الصراع صار يدور بوسائل مختلفة ليس من بينها الوسائل العسكرية .

وعلى سبيل المثال، فقد رأينا إن المشكلة الألمانية كانت أحد الأسباب الرئيسية فى الحروب الطاحنة التى اعتصرت القارة الأوروبية فى القرن العشرين .ورأينا كيف أصرت فرنسا فى أعقاب الحرب العالمية الأولى على معاقبة ألمانيا وإضعافها حتى لا تكرر عدوانها، وكيف أصر الحلفاء على تقسيم ألمانيا حتى لا تتكرر مغامرات هتلر.

وهناك مشكلة قديمة فى التوازن الأوروبى تتعلق بالعدد الأنسب للدول التى تتحدث الألمانية . وقد رأينا أنها كانت ٣٧ دولة فى وقت مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ ثم وحدها بسمارك ولكنه كان مقتنعا بأهمية أن توجد دولتان تتحدثان الألمانية فلم يكن يريد للنمساويين أن يشتركوا فى الإمبراطورية الألمانية الجديدة خشية التأثير على سيطرة بروسيا على الدولة الجديدة .أما هتلر فقد كان يرى ضرورة وجود ألمانيا واحدة تكون قلبا لامبراطورية عالمية.
وفى أعقاب الحرب الثانية سئل دبلوماسى فرنسى عن العدد الأمثل للدول الألمانية من وجهة نظره فأجاب : " أنا احب ألمانيا جداء وكلما زاد عدد الدول الألمانية كلما كان ذلك افضل " ! .

وعندما توحدت ألمانيا ثانية بعد نهاية الحرب الباردة فى عام ١٩٩٠، أعاد ذلك إلى الاذهان بعض المخاوف عن التوازن الأوروبي، واحتج وزير الخارجية السوفيتى ادوارد شيفرنادزة بأن اعادة توجيد ألمانيا سيؤدى بالاخلال بتوازن القوى فى أوروبا . ولكن لم تشر استطلاعات الرأى إلى قلق الشعب الفرنسى من هذا التوحيد .على العكس، فان أى رجل دولة فرنسي يقيم سياسته على اساس منع توحيد ألمانيا كان سيرفض فى داخل فرنسا نفسها نتيجة للروابط الكبيرة إلى صارت تربط بين الاقتصاد فى البلدين بحيث إن قوة الاقتصاد الألمانى تؤدى إلى رفاهية فى فرنسا، والعكس صحيح . وهذا هو ما يشار إليه بالاعتماد المتبادل .

لقد صارت هناك منافذ كثيرة يمكن أن تحقق الدولة من خلالها قوتها بخلاف الوسيلة العسكرية .وقد صرح أحد الدبلوماسيين الكنديين ذات مرة بأنه لا يخشى أن تتحرك الولايات المتحدة بقواتها لتغزو " تورنتو " كما فعلت فى عام ١٨١٣ .ولكنه يخشى أن يتم برمجة تورنتو بأجهزة كومبيوتر من ولاية تكساس .وهذه رؤية مختلفة للأمن والقوة تختلف عن المعضلة الأمنية التى تحدثنا عنها فى الفصل الثانى .

والأكثر من هذا كله فإن اللاعبين على المسرح العالمى لم يعودوا الدول فحسب، فهناك الشركات متعددة الجنسية التى صارت تتحكم فى مصادر اقتصادية تفوق بعض الدول .وعلى سبيل المثال، فإن هناك ١٢ شركة متعددة الجنسية يتجاوز اجمالى مبيعاتها الناتج القومى الاجمالى لأكثر من نصف دول العالم. ومبيعات شركة مثل " شل " او " أي بي .ام " اعلى من الناتج القومى لدول مثل النرويج وبلجيكا، واليونان وتركيا .

وغير الشركات متعددة الجنسية هناك المنظمات غير الحكومية، مثل منظمات حقوق الانسان التى صارت طرفا مهما فى قضايا كثيرة تتعلق بالصراع الدولي. وهناك المنظمات الإرهابية التى أثبتت، بعد الهجوم الذى دبرته منظمة " القاعدة " على برجي مركز التجارة العالمى فى نيويورك فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١، أنها قادرة على تسخير الأدوات التكنولوجية ومنجزات ثورة المعلومات فى إحداث قدر هائل من التدمير والخراب.

كل هذه العوامل جعلت الدولة لاعبا بين لاعبين كثيرين فى العالم المعاصر .أى أن اللاعبين تغيروا وكذلك أسلوب اللعب !

وعلى الرغم من ذلك فإن ظاهرة الصراع المسلح لم تنته، وإن أخذت أشكالا أخرى .وقد أشرنا من قبل إلى خطورة تصاعد العنف العرقى والدينى فى العقد الأخير من القرن العشرين . وأن هذا العنف صار يمارس فى شكل حروب محدودة التى صارت تمثل الصورة الغالبة للحرب فى هذا العصر .

هذه الحروب المحدودة التى تدور غالبا فى أطراف العالم، وفى الأجزاء الأقل تطورا منه التى يقطنها ٨٠% من البشر، حلت محل الحروب الشاملة التى كان مسرحها الأساسى من قبل هو القارة الأوروبية . وخطورة هذه النوعية من الحروب أنها تدور فى اغلب الأحوال حول قضايا غير ملموسة وينطبق عليها ما ذكرناه سلفا بخصوص "صراع الأفكار" . وفى هذه الحالة فإن الحرب لا تصبح وسيلة من وسائل السياسة كما قال كلاوزوفيتس، وانما تصبح هدفا فى حد ذاتها.

والخلاصة من كل هذا، أن الصراع الدولى لم ينته، وإنما اخذ أشكالا غير الصورة العسكرية فى أجزاء العالم المتقدم (أوروبا وأمريكا) .فى حين ظلت الوسيلة العسكرية هى الوسيلة الأساسية

لحسم الصراعـات فـى منـاطق أخـرى (أفريقيـا والشـرق الأوسـط وبعض أجزاء آسيا التى تعتبر الحرب فيها مستبعدة ولكن محتملـة الحدوث).

وبنهاية القرن العشرين ما زال الكثيرون يحملون أمنيات بـأن يكـون القـرن الجديـد فاتحـة لعـالم جديـد لا تصبغـه دمـاء ضحايـا الحروب والصراعات. ولكن يبدو أن الطريق ما زال طويلا أمام الإنسان لكى يتعلم أن العدو الحقيقى ينبع من داخله، ومن شكه فى الآخرين وخوفه منهم وكراهيته لهم ورغبته فى السيطرة عليهم!

رقم الإيداع : ١٦٢٦٩ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-227-216-4

مطابع التجارية - قليوب - مصر

موسوعة الشباب السياسية

هذه الموسوعة هى باكورة التعاون بين المركز ووزارة الشباب. وهى تشمل إصدار ٢٠ كتيب عن المفاهيم والمؤسسات الأساسية التى يصادفها الشباب بشكل متكرر خلال مطالعتهم للصحف أو مشاهدتهم للتليفزيون.

وتصدر هذه الموسوعة بدعم مالى من مؤسسة الأهرام ووزارة الشباب. وتمثل استكمالا لرسالة المركز منذ ان اصدر أول موسوعة عن الصهيونية فى أوائل السبعينات. كما تمثل دعما لمشروع طموح تقوم به وزارة الشباب لتطوير مراكز الشباب فى كل المحافظات.

وتهدف الموسوعة الى تزويد الشباب بمعرف مبسطة وسليمة وموضوعية و‌نزهة عـ الغرض. ونقدم فى هذا العدد الثامن عشر مفهو الصراع الدولى.

ونقدم فى الأعداد التالية تعريفا بمفاهيم أخر مثل الخصخصة والأقلية والرأى العام وغيرها.

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر